

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
ⵜⴰⵎⴰⵎⴰⵔⵜ ⵏ ⵜⴰⵎⴰⵎⴰⵔⵜ ⵏ ⵜⴰⵎⴰⵎⴰⵔⵜ
UNIVERSITÉ DE TLEMCE



كلية الاداب و اللغات

الشعبة فنون بصرية

قسم الفنون

التخصص دراسات فنون تشكيلية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر الموسومة بـ

الفنون التشكيلية ودورها في الحد من ظاهرة

العنف المدرسي

تحت اشراف الاستاذ

الدكتور بلشير عبد الرزاق

من اعداد الطالبتين :

تواتي نوال

مجاهد فاطنة

لجنة المناقشة

رئيسا

مشرفا ومقررا

مناقشا

الدكتور خالدي محمد

الدكتور بلشير عبد الرزاق

الدكتورة خواني زهرة

السنة الجامعية 2026/2025



إهداء

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل، وأعاني على إتمام هذه الدراسة، والصلاة والسلام على
أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع:

إلى من كان دعاؤهما سر نجاحي، ونور طريقي، إلى أعظم الناس قدرًا في حياتي، والديّ العزيزين،
حفظهما الله وأطال في عمرهما، جزاءً لما قدماه لي من حب ودعم وتضحيات.
إلى كل أفراد عائلتي الكريمة الذين كانوا سندًا لي وشجعوني على مواصلة الطريق.
إلى أساتذتي الأفاضل الذين أناروا لي درب العلم والمعرفة، وكانوا خير موجهين وناصحين.
إلى كل زملائي وزميلاتي الذين شاركوني هذه الرحلة العلمية، بكل ما حملته من تعب وأمل.
إلى كل من آمن بقدرتي، وساندني بكلمة طيبة أو دعوة صادقة.
وإلى كل من يسعى لأن يجعل من الفن رسالة للتربية، والإبداع وسيلة لبناء مجتمع خالٍ من
العنف.

أهدي هذا العمل المتواضع، راجية من الله أن يجعله نافعًا ومفيدًا.

تواقي نوال



بكل مشاعر الامتنان والتقدير، وبعد رحلة من الجهد والمثابرة، أهدي هذا العمل المتواضع:
إلى من كانا مصدر الحب والحنان، وسندي في كل مراحل حياتي، والديّ العزيزين، اللذين غمراني
بالدعاء والدعم والتشجيع، فلهما مني كل المحبة والوفاء.

إلى إخوتي وأخواتي الذين كانوا خير معين وسند، وشاركوا معي لحظات التعب والأمل.

إلى عائلتي الكريمة التي أحاطتني بالتشجيع والمساندة.

إلى أساتذتي الأفاضل الذين لم يخلوا عليّ بالعلم والتوجيه، وكان لهم الفضل في تكويني العلمي
والمعرفي.

إلى زملائي وزميلاتي الذين رافقوني في هذه المسيرة الدراسية، وتقاسموا معي تحدياتها ولحظاتها الجميلة.

إلى كل من يحمل رسالة الفن والتربية، ويؤمن بأن الإبداع قادر على بناء النفوس وتقويم السلوك.

وإلى كل طفل يحتاج إلى فرصة للتعبير عن ذاته، وإلى كل من يرى في الفن وسيلة لنشر السلام ونبذ
العنف.

أهدي هذا العمل المتواضع، راجياً من الله أن يكلله بالنفع والفائدة.

مجاهد فاطنة



شكر وتقدير

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي وفقنا وأعانا على إتمام هذا العمل، والذي بنعمته تتم الصالحات. نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساهم في إنجاز هذه الدراسة من قريب أو بعيد، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف بلبشير عبد الرزاق الذي تفضل علينا بتوجيهاته القيمة ونصائحه السديدة، وكان له الأثر الكبير في إنجاز هذا العمل على الوجه المطلوب. كما نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أساتذة قسم الفنون التشكيلية، الذين أفادونا بعلمهم ومعارفهم طوال مشوارنا الدراسي، وكانوا خير مرشدين وموجهين. ولا يفوتنا أن نعبر عن بالغ امتناننا إلى إدارة المؤسسة التعليمية وكل من ساهم في تسهيل إنجاز هذا البحث، لما قدموه من دعم ومساعدة. كما نتوجه بالشكر إلى عائلاتنا الكريمة على ما قدموه من دعم نفسي ومعنوي، وعلى صبرهم وتشجيعهم المستمر. وإلى كل من قدم لنا يد العون، أو كلمة تشجيع، أو نصيحة صادقة، وساهم في إنجاز هذا العمل، نتقدم له بخالص الشكر والتقدير والاحترام. نسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ونافعاً لكل من يطلع عليه.

تواقي نوال



شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع، وأعاننا على تجاوز مراحل هذه الدراسة بكل ما حملته من جهد ومثابرة. نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان إلى الأستاذ المشرف بلبشير عبد الرزاق الذي كان لتوجيهاته القيمة ونصائحه السديدة الدور الكبير في إنجاز هذه المذكرة، فله منا كل الاحترام والتقدير.

كما نتوجه بخالص الشكر إلى أساتذة قسم الفنون التشكيلية، الذين أثاروا لنا طريق العلم والمعرفة، وقدموا لنا الكثير من الدعم العلمي والتربوي طوال مسيرتنا الجامعية. ونعبر عن بالغ امتناننا لكل من ساهم في تسهيل هذا العمل، من إدارة المؤسسة، والطاقم الإداري، وكل من قدم لنا المساعدة والتشجيع.

كما لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى عائلاتنا الكريمة، التي كانت مصدر الدعم والصبر والتحفيز، ووفرت لنا الظروف المناسبة لإتمام هذا العمل. ولا ننسى أن نشكر زملاءنا وأصدقاءنا الذين رافقونا في هذه الرحلة العلمية، وقدموا لنا الدعم المعنوي والمساندة.

وفي الأخير، نتقدم بالشكر إلى كل من ساهم، ولو بكلمة طيبة أو دعوة صادقة، في إنجاز هذا العمل المتواضع.

فلكم جميعاً منا خالص الشكر وعظيم التقدير والاحترام

مجاهد فاطنة

مقدمة:

تُعدّ الفنون التشكيلية من أبرز الدعائم التربوية التي تساهم في بناء شخصية المتعلم بناءً متكاملًا، إذ لا تقتصر أهميتها على الجانب الجمالي فحسب، بل تتعداه لتشمل الأبعاد النفسية والاجتماعية والمعرفية. فهي تتيح للمتعلم مساحة حرة وأمنة للتعبير عن ذاته، وتمكنه من ترجمة مشاعره وأفكاره وانفعالاته إلى أشكال بصرية ملموسة، الأمر الذي يساعد على تحقيق التوازن النفسي والتخفيف من حدة التوتر والضغوط التي قد يتعرض لها داخل البيئة المدرسية أو خارجها.

وفي السياق التربوي المعاصر، الذي يشهد تزايدًا ملحوظًا في مظاهر العنف المدرسي بمختلف أنواعه، سواء كان عنفًا لفظيًا أو جسديًا أو حتى رمزيًا، برزت الحاجة الملحة إلى تبني مقاربات تربوية حديثة تتجاوز الأساليب التقليدية القائمة على الردع والعقاب، نحو أساليب وقائية وعلاجية تركز على فهم أعمق لاحتياجات المتعلمين النفسية والاجتماعية. ومن هذا المنطلق، تبرز الفنون التشكيلية كأداة تربوية فعالة يمكن توظيفها في الحد من هذه الظاهرة، من خلال تنمية مهارات التعبير الذاتي، وتعزيز قيم الحوار والتسامح، وتنمية الحس الجمالي والذوق الفني.

كما تسهم الأنشطة الفنية في تنمية مهارات التواصل لدى المتعلمين، وتدعم قدرتهم على العمل الجماعي والتعاون، مما يقلل من النزعات العدوانية ويعزز روح الانتماء للمحيط المدرسي. إضافة إلى ذلك، تساعد الفنون التشكيلية على اكتشاف المواهب وصقلها، مما يمنح المتعلم شعورًا بالإنجاز والثقة بالنفس، وهو ما يُعدّ عاملاً مهمًا في الوقاية من السلوكيات العنيفة.

وعليه، فإن إدماج الفنون التشكيلية ضمن البرامج التربوية، ليس فقط كمادة تعليمية، بل كوسيلة علاجية وتربوية موجهة، يمكن أن يشكل استراتيجية فعالة في مواجهة ظاهرة العنف المدرسي، من خلال بناء بيئة تعليمية إيجابية تقوم على التعبير الحر، والاحترام المتبادل، والتوازن النفسي والاجتماعي للمتعلمين.

دوافع اختيار الموضوع:

يرجع اختيار هذا الموضوع إلى:

- الانتشار الملحوظ للعنف داخل المدارس.
- الاهتمام المتزايد بالأساليب التربوية الحديثة.
- الرغبة في إبراز أهمية الأنشطة الفنية في تعديل السلوك.

أهمية البحث:

تتبع أهمية هذا البحث من كونه يعالج قضية تربوية حساسة تتمثل في العنف المدرسي، الذي يؤثر سلباً على المناخ التعليمي والتحصيل الدراسي، كما يسلط الضوء على دور الفنون التشكيلية كأداة تربوية حديثة يمكن أن تسهم في بناء سلوك إيجابي لدى التلاميذ وتعزيز قيم التسامح والتواصل.

إشكالية البحث:

تنطلق الدراسة من الإشكالية التالية:

إلى أي مدى يمكن للفنون التشكيلية أن تسهم في الحد من ظاهرة العنف المدرسي؟

التساؤلات الفرعية:

- ما المقصود بالفنون التشكيلية وما أهم خصائصها؟
- ما أسباب العنف المدرسي وأشكاله؟
- كيف تؤثر الأنشطة الفنية على سلوك التلاميذ؟
- ما الآليات التربوية التي يمكن اعتمادها لتفعيل دور الفنون في المدرسة؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- التعرف على مفهوم الفنون التشكيلية وأبعادها التربوية.
- إبراز أسباب انتشار ظاهرة العنف المدرسي.
- دراسة دور الفنون التشكيلية في التقليل من السلوك العدواني لدى التلاميذ.
- اقتراح آليات عملية لتوظيف الفنون داخل الوسط المدرسي للحد من العنف

فرضيات البحث:

- تسهم الفنون التشكيلية في خفض مستويات العنف المدرسي.
- وجود علاقة إيجابية بين ممارسة الأنشطة الفنية وتحسن السلوك لدى التلاميذ.
- كلما زاد الاهتمام بالفنون داخل المدرسة، قلّت السلوكيات العدوانية.

الدراسات السابقة

إضاءة على الدراسات السابقة: لتأصيل هذا التوجه علمياً، تقاطعت هذه الدراسة مع عدة أدبيات سابقة؛ حيث أكدت دراسات (مثل دراسة الخفاجي، 2018) على الفعالية الكبيرة لبرامج العلاج بالفن (Art Therapy) في خفض السلوك العدواني وتصريف الشحنات الانفعالية السالبة لدى المراهقين. كما أشارت دراسة (منصور، 2021) إلى أن الأنشطة الفنية الجماعية تسهم بشكل مباشر في تحسين المهارات الاجتماعية والحد من التنمر داخل البيئة المدرسية. وفي السياق الأجنبي، ركزت دراسة (Smith, 2019) على دور التربية الفنية في تعزيز الذكاء العاطفي والمرونة النفسية لدى الطلاب، مما يقلل من جنوحهم نحو العنف البدني. وتأتي هذه الدراسة الحالية مستفيدة من تلك الأطر لتطوير آليات إجرائية عملية تناسب واقع مؤسساتنا التعليمية.

كما تسهم الأنشطة الفنية في تنمية مهارات التواصل لدى المتعلمين، وتدعم قدرتهم على العمل الجماعي والتعاون، مما يقلل من النزعات العدوانية ويعزز روح الانتماء للمحيط المدرسي. إضافة إلى ذلك، تساعد الفنون التشكيلية على اكتشاف المواهب وصقلها، مما يمنح المتعلم شعوراً بالإنجاز والثقة بالنفس، وهو ما يُعدّ عاملاً مهماً في الوقاية من السلوكيات العنيفة.

وعليه، فإن إدماج الفنون التشكيلية ضمن البرامج التربوية، ليس فقط كمادة تعليمية، بل كوسيلة علاجية وتربوية موجهة، يمكن أن يشكل استراتيجية فعالة في مواجهة ظاهرة العنف المدرسي، من خلال بناء بيئة تعليمية إيجابية تقوم على التعبير الحر، والاحترام المتبادل، والتوازن النفسي والاجتماعي للمتعلمين.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على:

- المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الظاهرة وتحليل أبعادها.
 - الاستعانة بالمراجع والدراسات السابقة ذات الصلة.
- ولانجاز هذه المذكرة اعتمدنا خطة بحث مقسمة لفصلين حيث تم التطرق في الفصل الأول الى وظيفة الفن في المدرسة و في الفصل الثاني طرق ووسائل محاربة العنف المدرسي عن طريق الفن

صعوبات البحث:

من بين الصعوبات التي قد تواجه هذا البحث:

- قلة الدراسات الميدانية التي تربط بين الفن والعنف المدرسي.
- صعوبة قياس الأثر النفسي للفنون بشكل دقيق.
- محدودية الإمكانيات داخل بعض المؤسسات التربوية.

وفي الأخير نتقدم بخالص شكرنا لأستاذنا الدكتور بلبشير عبد الرزاق الذي كان له الفضل في الاشراف على هذه المذكرة

تم بحمد الله يوم 20/05/2026



الفصل الأول: وظيفة الفن في المدرسة

الفصل الأول: وظيفة الفن في المدرسة

المبحث الأول: ماهية الفن التشكيلي وأقسامه

أولاً: تعريف الفن التشكيلي

يُعدّ الفنّ التشكيلي أحد أقدم وأعمق أشكال التعبير الإنساني، إذ رافق الإنسان منذ نشأته الأولى، حين لم تكن اللغة اللفظية قد اكتملت بعد، فكان يلجأ إلى الرسم والنقش كوسيلة بديلة للتواصل ونقل أفكاره ومشاعره. فقد شكّلت الرسومات البدائية التي ظهرت على جدران الكهوف، مثل تلك المكتشفة في مختلف مناطق العالم، تعبيراً صادقاً عن علاقة الإنسان الأول ببيئته، حيث جسّد من خلالها مشاهد الصيد والحيوانات والطقوس اليومية، مما يعكس محاولته لفهم العالم المحيط به والسيطرة عليه رمزياً.

ومع تطور المجتمعات البشرية وظهور الحضارات الكبرى، كالحضارة المصرية واليونانية والرومانية، شهد الفن التشكيلي تحوّلاً نوعياً، حيث لم يعد مجرد وسيلة بدائية للتعبير، بل أصبح نشاطاً منظماً يخضع لقواعد جمالية وفلسفية. فقد ارتبط الفن في هذه الحضارات بالدين والسياسة، وأُستخدم لتجسيد الآلهة، وتخليد الملوك، وتوثيق الأحداث التاريخية، مما أكسبه أبعاداً رمزية ومعرفية عميقة. كما بدأت تظهر مفاهيم الجمال والتناسق والتوازن، وأصبح الفنان يسعى إلى تحقيق الكمال الفني من خلال دراسة الطبيعة ومحاكاتها¹.

وفي العصور اللاحقة، خاصة مع عصر النهضة، تطور الفن التشكيلي بشكل كبير، حيث تحرر نسبياً من القيود الدينية، وبدأ يعكس النزعة الإنسانية التي تضع الإنسان في مركز الاهتمام. فظهر الاهتمام بالتشريح والمنظور والضوء والظل، وأصبح العمل الفني أكثر واقعية ودقة، مع الحفاظ على البعد التعبيري والجمالي. ولم يتوقف تطور الفن عند هذا الحد، بل شهد تحولات جذرية في العصر الحديث، حيث

¹ أحمد زكريا الشلق، مدخل إلى الفنون التشكيلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2010، ص 15-30.

ظهرت مدارس فنية متعددة كالتكيفية والتجريدية والانطباعية، والتي كسرت القواعد التقليدية وفتحت المجال أمام حرية التعبير والإبداع.

وهكذا، لم يعد الفن التشكيلي مجرد محاكاة للواقع، بل أصبح وسيلة للتأمل والتساؤل، يعكس من خلالها الفنان رؤيته الخاصة للعالم، ويعبر عن قضايا الوجودية والنفسية والاجتماعية. فهو يحمل في طياته رموزاً ودلالات تتجاوز الشكل الظاهري للعمل الفني، ليصبح خطاباً بصرياً غنياً بالمعاني، يتيح للمتلقي فرصة التفاعل والتفسير وفق خبراته وثقافته. وبذلك، يمكن القول إن الفن التشكيلي هو مرآة تعكس تطور الإنسان فكرياً وحضارياً، وأداة فعالة للتعبير عن هويته ووعيه بذاته وبالعالم من حوله.¹

ويُقصد بالفن التشكيلي ذلك المجال الفني الذي يقوم على تشكيل المادة أو إعادة تنظيم العناصر البصرية الأساسية، كالخط، واللون، والكتلة، والفراغ، والملمس، في إطار بناء متكامل يهدف إلى إنتاج عمل فني يحمل دلالات جمالية وتعبيرية متعددة. ولا يقتصر هذا التشكيل على الجانب المادي فحسب، بل يتعداه ليشمل تنظيم العلاقات بين هذه العناصر بطريقة تُبرز رؤية الفنان وتعكس تجربته الذاتية، مما يجعل من العمل الفني خطاباً بصرياً غنياً بالرموز والإيحاءات.

ويتميز الفن التشكيلي بكونه موجّهاً أساساً إلى حاسة البصر، حيث يعتمد على الإدراك البصري في تلقي العمل الفني وفهم مكوناته وعلاقاته الداخلية. غير أنّ هذا الإدراك لا يتم بصورة سطحية، بل يتطلب نوعاً من التفاعل الذهني والتأملي الذي يُمكن المتلقي من فكّ شيفرات العمل واستكشاف معانيه الكامنة. فالعين هنا لا تكتفي بالرؤية، بل تُسهم في عملية تحليل وتأويل، تجعل من المشاهدة تجربة فكرية وجمالية في آنٍ واحد.

ولا يقف تأثير الفن التشكيلي عند حدود الإحساس البصري، بل يمتد ليحدث تفاعلاً نفسياً ووجدانياً عميقاً لدى المتلقي، إذ يمكن للألوان والخطوط والتكوينات أن تُثير مشاعر مختلفة كالسعادة أو الحزن أو الدهشة أو القلق، تبعاً لطبيعة العمل وسياقه. كما يفتح المجال أمام التأمل والتساؤل، فيدفع الفرد

¹ أحمد زكريا الشلق، مدخل إلى الفنون التشكيلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2010، ص 15-30.

إلى إعادة النظر في الواقع من حوله، واستحضار تجاربه الخاصة وربطها بما يراه. ومن هنا، يصبح الفن التشكيلي وسيلة للتواصل غير اللفظي بين الفنان والمتلقي، وجسرًا يربط بين العاطفة والفكر، وبين الإحساس والمعنى، في تجربة إنسانية متكاملة تتجاوز حدود الزمان والمكان¹.

ويشمل الفن التشكيلي طيفًا واسعًا من الفنون التي تتباين في تقنياتها ووسائلها وأساليب التعبير فيها، الأمر الذي يعكس غناه وتعدد مجالاته. فمن أبرز هذه الفنون **الرسم**، الذي يُعدّ من أقدم أشكال التعبير التشكيلي، حيث يعتمد على توظيف الخطوط والألوان والظلال لتجسيد الأفكار والمشاعر، سواء بشكل واقعي أو تجريدي. كما نجد **فن النحت**، الذي يقوم على تشكيل المواد الصلبة كالحجر والخشب والمعادن، ليُحوّل الكتلة الجامدة إلى شكل حيّ يحمل دلالات فنية ورمزية، ويُبرز مهارة الفنان في التعامل مع الفراغ والحجم.

إلى جانب ذلك، يبرز **فن الخزف** كأحد الفنون التي تجمع بين البعد الجمالي والوظيفي، إذ يعتمد على تشكيل الطين ثم معالجته بالحرق لإنتاج قطع فنية قد تكون للاستعمال اليومي أو للعرض الفني، مما يُظهر تداخل الفن مع الحياة العملية. كما تُعدّ **الطباعة الفنية** مجالًا مهمًا ضمن الفنون التشكيلية، حيث تتيح إنتاج نسخ متعددة من العمل الفني باستخدام تقنيات متنوعة، كالخفر والطباعة بالشاشة، مع الحفاظ على الطابع الإبداعي لكل عمل.

وفي إطار التطور المعاصر، ظهرت أشكال فنية جديدة مثل **الفن التركيبي** الذي يقوم على توظيف عناصر متعددة في فضاء معين لخلق تجربة بصرية شاملة، و**الفن المفاهيمي** الذي يركّز على الفكرة أكثر من الشكل، حيث تصبح الفكرة ذاتها هي جوهر العمل الفني. ويُبرز هذا التنوع الكبير مرونة الفن التشكيلي وقدرته على التكيف مع مختلف الأزمنة والثقافات، إذ يتجدّد باستمرار ليواكب

¹ أحمد زكريا الشلق، المرجع السابق ص 20

التحولات الاجتماعية والفكرية، ويعكس في كل مرحلة رؤية الإنسان لذاته وللعالم من حوله، مما يجعله مجالاً حياً ومتطوراً لا ينفصل عن حركة التاريخ والحضارة.

ولا يقتصر الفن التشكيلي على كونه نشاطاً جمالياً فحسب، بل يُعدّ وسيلة فعّالة للتواصل الثقافي والحضاري بين الشعوب، إذ يعكس في جوهره البيئة الاجتماعية والتاريخية والسياسية التي ينتمي إليها الفنان. فكل عمل فني هو نتاج سياق معيّن، يحمل في طياته ملامح العصر الذي أُنجز فيه، ويُجسّد القيم والمعتقدات والتصورات الفكرية السائدة في المجتمع. ومن خلال هذا البعد، يتحوّل الفن التشكيلي إلى لغة عالمية تتجاوز حدود الكلمات، قادرة على نقل التجارب الإنسانية وتبادلها بين مختلف الثقافات.

وتُعدّ الأعمال الفنية التشكيلية بمثابة وثائق بصرية حيّة تُسهم في توثيق تاريخ الشعوب وتطوّرها، حيث يمكن من خلالها قراءة ملامح الحضارات المختلفة وفهم تحولاتها عبر الزمن. فالفن الفرعوني، على سبيل المثال، يعكس ارتباط الإنسان المصري القديم بعقيدته واهتمامه بفكرة الخلود، بينما يُظهر الفن الإغريقي تقديس الجمال الإنساني والسعي نحو الكمال والتوازن. أما الفن الإسلامي، فقد تميّز بطابعه الزخرفي والرمزي، مبتعداً عن التجسيد المباشر، ومعبراً عن رؤية روحية عميقة تتجلى في الهندسة والتكرار والتناغم.

ومع تطور العصور، استمر الفن التشكيلي في مواكبة التحولات الفكرية والاجتماعية، حيث ظهرت الحركات الفنية الحديثة والمعاصرة التي عبّرت عن قضايا الإنسان المعاصر وهمومه، كالصراعات، والهوية، والحرية، والتغيرات التكنولوجية. وهكذا، يصبح الفن التشكيلي سجلاً بصرياً حياً للتاريخ الإنساني، ومرآة تعكس تطوّر الوعي البشري، وأداة لفهم الماضي واستشراف المستقبل، في إطار من الإبداع والتجدد المستمر.

كما يلعب الفن التشكيلي دوراً مهماً في بناء الهوية الفردية والجماعية، إذ يُمكن الفنان من التعبير عن ذاته وتجربته الخاصة، وفي الوقت نفسه يُسهم في تعزيز الانتماء الثقافي لدى الأفراد من خلال إبراز الخصوصيات الحضارية لمجتمعاتهم. ومن هذا المنطلق، أصبح الفن التشكيلي أداة تربوية وثقافية تُستخدم

في تنمية الذوق الجمالي، وتعزيز التفكير الإبداعي، وتنمية الحس النقدي لدى الأفراد، خاصة في المراحل التعليمية المختلفة¹.

وقد تعددت تعريفات الفن التشكيلي بتعدد المدارس الفنية والنظريات الجمالية، حيث نظر إليه البعض على أنه محاكاة للطبيعة، في حين اعتبره آخرون تعبيراً عن الانفعالات الداخلية للفنان، بينما ركزت اتجاهات حديثة على البعد المفاهيمي للفن، معتبرة أن الفكرة هي جوهر العمل الفني بغض النظر عن شكله أو مادته. ورغم هذا التباين، فإن جميع هذه التعريفات تتفق في أن الفن التشكيلي هو نشاط إبداعي إنساني يقوم على الابتكار والتعبير، ويهدف إلى إنتاج أعمال فنية تحمل معاني ودلالات تتجاوز ظاهرها الحسي لتلامس أبعاداً فكرية وجمالية عميقة.

وعليه، يمكن القول إن الفن التشكيلي ليس مجرد ممارسة فنية معزولة، بل هو ظاهرة إنسانية شاملة تعكس تفاعل الإنسان مع ذاته ومحيطه، وتُجسّد قدرته على الإبداع والتعبير، مما يجعله عنصراً أساسياً في تطور الحضارات وبناء الثقافة الإنسانية عبر التاريخ².

ثانياً: أقسام الفن التشكيلي

يتنوع الفن التشكيلي إلى عدة أنواع رئيسية تختلف في تقنياتها ووسائطها التعبيرية، ويُعدّ هذا التنوع من أبرز الخصائص التي تمنحه ثراءً ومرونة في التعبير الفني. فاختلاف الوسائط، من ألوان وخامات وأدوات، يُتيح للفنان حرية واسعة في اختيار الطريقة التي يُجسّد بها أفكاره ومشاعره، كما يُمكنه من ابتكار أساليب جديدة تُواكب تطور رؤيته الإبداعية. وفي المقابل، يمنح هذا التنوع المتلقي فرصاً متعددة لفهم العمل الفني وتأويله، إذ تتعدد زوايا النظر وتباين مستويات التفاعل تبعاً لطبيعة العمل وخلفية المشاهد الثقافية والجمالية.

¹ محمد عبد الكريم، *الفن الحديث والمعاصر*، دار النهضة العربية، القاهرة، 2015، ص 22-60

² محمد عبد الكريم، المرجع نفسه ص 63

ولا يقتصر هذا التنوع على الجانب التقني المرتبط بالأدوات والخامات فحسب، بل يمتد ليشمل اختلاف الرؤى الفنية والأساليب التعبيرية التي تعكس تطور الفكر الإنساني عبر العصور. فهناك من الفنانين من يميل إلى التعبير الواقعي الذي يسعى إلى محاكاة الطبيعة بدقة، في حين يتجه آخرون نحو التجريد أو الرمزية، حيث يُصبح الشكل وسيلة للإيجاء لا للمطابقة. كما ظهرت اتجاهات فنية حديثة تُركّز على الفكرة أكثر من الشكل، وتُعيد تعريف مفهوم العمل الفني ذاته.

وبهذا المعنى، يُجسّد تنوع الفن التشكيلي حيوية هذا المجال وقدرته على التجدد المستمر، إذ يتفاعل مع التحولات الاجتماعية والثقافية والفكرية، ويعكس تعددية التجارب الإنسانية واختلافها. كما يُسهم هذا التنوع في إثراء الذائقة الفنية، وتعزيز قدرة الأفراد على التذوق الجمالي والنقد والتحليل، مما يجعل الفن التشكيلي مجالاً مفتوحاً للإبداع والتجريب، لا تحدّه حدود ثابتة بل يتطور باستمرار مع تطور الإنسان ووعيه¹.

ويأتي في مقدّمة هذه الأنواع فنّ الرسم، الذي يُعدّ من أقدم وأشهر الفنون التشكيلية، إذ ارتبط منذ نشأته الأولى بمحاولات الإنسان تسجيل مشاهد حياته اليومية والتعبير عن معتقداته ورؤيته للعالم. فقد شكّلت الرسومات الأولى التي أنجزها الإنسان على جدران الكهوف بدايات هذا الفن، حيث عبّرت عن علاقته بالطبيعة ومحيطه، وسعيه لفهم الظواهر التي تحيط به. ومنذ ذلك الحين، ظلّ الرسم وسيلة أساسية للتعبير البصري، تتطور بتطور الإنسان وثقافته.

ويعتمد الرسم على توظيف عناصر فنية أساسية، كالخطوط والألوان والظلال، فوق سطح مستوٍ كالقماش أو الورق أو الجدران، مما يجعله وسيلة مباشرة وسريعة لنقل الأفكار والمشاعر. كما يتميز بمرونته وسهولة ممارسته مقارنة ببعض الفنون الأخرى، إذ لا يتطلب في بداياته أدوات معقدة، وهو ما جعله مدخلاً مهماً لتعليم الفنون وتنمية الحس الجمالي لدى الأفراد، خاصة الأطفال.

¹حسين محمود عطية، تاريخ الفن عبر العصور، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002، ص 35-80.

وقد شهد هذا الفن تطوراً كبيراً عبر مراحل تاريخية متعددة، حيث ظهرت فيه مدارس فنية متنوعة عكست اختلاف الرؤى والتوجهات الجمالية. فالواقعية سعت إلى نقل الواقع بدقة وموضوعية، بينما ركزت الانطباعية على التقاط تأثير الضوء واللحظة العابرة، في حين اتجهت التجريدية إلى تجاوز الشكل الظاهري للأشياء، معبرة عن جوهرها أو عن الإحساس الداخلي للفنان. كما ظهرت اتجاهات أخرى مزجت بين هذه الأساليب أو تمردت عليها، مما يدل على حيوية هذا الفن واستمرارية تجددّه.

ويُعتبر الرسم مجاًلاً واسعاً للإبداع، إذ يمنح الفنان حرية كبيرة في التجريب والتعبير، سواء من خلال اختيار الموضوع أو الأسلوب أو التقنية. كما يتيح له فرصة التعبير عن ذاته وأفكاره بطريقة شخصية وفريدة، مما يجعل كل عمل فني تجربة خاصة تحمل بصمة صاحبها. ومن هنا، يظل فن الرسم أحد أهم وسائل التعبير الإنساني، وأقربها إلى النفس، لما يتميز به من بساطة في الوسيلة وعمق في الدلالة¹.

أما فن النحت، فيُعدّ من الفنون التشكيلية التي تقوم على البعد الثلاثي، حيث يُجسّد الفنان أعماله في شكل مجسمات لها طول وعرض وعمق، مما يتيح للمتلقي مشاهدتها من زوايا متعددة. ويعتمد النحت على مواد مختلفة مثل الحجر، والخشب، والمعادن، والطين، ويستلزم مهارات تقنية عالية في التعامل مع الكتلة والفراغ، إضافة إلى فهم دقيق للتوازن والتكوين. وقد ارتبط النحت عبر التاريخ بتجسيد الرموز الدينية والشخصيات التاريخية، كما استخدم في تزيين المعابد والقصور والساحات العامة، مما يجعله فناً يجمع بين البعد الجمالي والبعد الوظيفي أو الرمزي.

ومن جهة أخرى، يُصنّف فن الخزف والفخار ضمن الفنون التشكيلية التطبيقية، حيث يجمع بين الوظيفة العملية والقيمة الجمالية، إذ يتم تشكيل الطين بطرق مختلفة كالعجن أو الدولاب، ثم يُحرق في أفران خاصة بدرجات حرارة عالية ليكتسب الصلابة والمتانة. ويتميّز هذا الفن بارتباطه بالحياة اليومية للإنسان، حيث تُستخدم منتجاته في الأغراض المنزلية، وفي الوقت ذاته تُزيّن بزخارف فنية تعكس

¹ محمد عبد الكريم، الفن الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، القاهرة، 2015، ص 22-60

الذوق الثقافي والحضاري للمجتمع. كما يُعتبر الخزف مجالاً مهماً للإبداع، إذ يتيح للفنان التجريب في الأشكال والألوان والملابس¹.

ومع التطور التكنولوجي والتغيرات الثقافية التي شهدتها العالم المعاصر، ظهرت أشكال جديدة من الفنون التشكيلية التي تجاوزت الحدود التقليدية، من أبرزها الفن الرقمي الذي يعتمد على استخدام الحاسوب والبرمجيات في إنتاج الأعمال الفنية، حيث أصبح بإمكان الفنان توظيف الوسائط الرقمية لابتكار عوالم بصرية جديدة. كما برز الفن المفاهيمي الذي يركز على الفكرة أكثر من الشكل، حيث يُصبح المعنى أو الرسالة هو العنصر الأساسي في العمل الفني، حتى وإن كان بسيطاً من حيث الشكل. إضافة إلى ذلك، ظهر فن التركيبات (Installation Art) الذي يقوم على تنظيم عناصر مختلفة في فضاء معين، بحيث يتفاعل المتلقي مع العمل بشكل مباشر، مما يُحوّل الفن من مجرد مشاهدة إلى تجربة حسية متكاملة².

ويعكس هذا التنوع في أنواع الفن التشكيلي قدرة هذا المجال على مواكبة التحولات الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية، كما يُبرز مرونته في استيعاب أشكال جديدة من التعبير، مما يجعله مجالاً مفتوحاً للإبداع والتجديد المستمر. وبالتالي، فإن تعدد أنواع الفن التشكيلي لا يُعدّ مجرد اختلاف في الوسائط، بل هو تعبير عن تعدد طرق رؤية الإنسان للعالم وسعيه الدائم إلى التعبير عن ذاته بوسائل فنية متنوعة.

ثالثاً: خصائص الفن التشكيلي

يتميّز الفن التشكيلي بجملة من الخصائص التي تجعله مجالاً فنياً مستقلاً ومتفرداً عن غيره من الفنون، حيث تتداخل فيه الأبعاد الجمالية والتعبيرية والفكرية في آنٍ واحد، مما يمنحه مكانة خاصة ضمن مجالات الإبداع الإنساني. ومن أبرز هذه الخصائص الطابع البصري، إذ يعتمد الفن التشكيلي أساساً على الرؤية والإدراك الحسي في تلقي العمل الفني، حيث يتفاعل المتلقي مع الأشكال والألوان والخطوط

¹ عبد الحميد محمود، *أسس الذوق الفني*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2008، ص 10-25.

² محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص 69.

والكتل بطريقة مباشرة، دون الحاجة إلى وسيط لغوي أو شرح لفظي. وهذا ما يجعل تأثيره سريعاً وعميقاً في الوقت ذاته، إذ يمكن للصورة أو التكوين البصري أن ينقل فكرة أو إحساساً قد يصعب التعبير عنه بالكلمات¹.

ولا يقتصر الطابع البصري في الفن التشكيلي على مجرد المشاهدة السطحية، بل يتجاوز ذلك إلى تفعيل عملية الإدراك العميق والتأمل الواعي، حيث يُشرك المتلقي في قراءة العمل الفني وفهم أبعاده المختلفة. فالعين لا تنقل الصورة فقط، بل تُحفّز العقل على التحليل، وتدعو الوجدان إلى التفاعل، مما يجعل تجربة التلقي تجربة مركّبة تجمع بين الحسّ والفكر. ومن خلال هذا التفاعل، يصبح المتلقي عنصراً فاعلاً في إنتاج المعنى، إذ يساهم بخبراته وثقافته ومشاعره في تأويل العمل، وليس مجرد متلقٍ سلبي يكتفي بالمشاهدة.

ومن هذا المنطلق، يُمكن اعتبار الفن التشكيلي لغة عالمية تتجاوز الحدود اللغوية والثقافية، حيث يعتمد على الرموز البصرية التي يمكن فهمها بدرجات متفاوتة من قبل مختلف الشعوب. فالصورة، بخلاف الكلمة، لا تحتاج إلى ترجمة حرفية، بل تخاطب الإنسان بشكل مباشر، مستندة إلى تجاربه الحسية والإنسانية المشتركة. ولذلك، يستطيع أي فرد، مهما اختلفت لغته أو ثقافته، أن يتفاعل مع العمل الفني، وأن يدرك جزءاً من رسالته، حتى وإن اختلفت تأويلاته عن غيره.

وهكذا، يُسهم الفن التشكيلي في بناء جسور التواصل بين الثقافات، ويعزّز التفاهم الإنساني من خلال لغة بصرية مشتركة، تقوم على الإحساس والجمال والتجربة الإنسانية. كما يُتيح هذا الفن فضاءً مفتوحاً للحوار والتعدد في الفهم، حيث لا توجد قراءة واحدة نهائية للعمل الفني، بل تتعدد القراءات بتعدد المتلقين، مما يضيف على الفن التشكيلي طابعاً حياً ومتجدداً، يعكس غنى التجربة الإنسانية وتنوعها².

¹ عبد الفتاح رياض، *التكوين في الفنون التشكيلية*، دار النهضة العربية، 2000، ص 30-55.
² محمد عبد الكريم، *الفن الحديث والمعاصر*، دار النهضة العربية، القاهرة، 2015، ص 22-60.

ومن الخصائص الجوهرية أيضًا في الفن التشكيلي خاصية الإبداع والابتكار، حيث يُعدّ هذا الفن مجالًا خصبًا للتجديد والتجريب، يتيح للفنان مساحة واسعة للتعبير عن أفكاره ومشاعره بأساليب متنوعة قد تتجاوز القوالب التقليدية المألوفة. فالفنان لا يكتفي بإعادة إنتاج الواقع، بل يسعى إلى إعادة صياغته وفق رؤيته الخاصة، مستثمرًا خياله وخبرته لإنتاج أعمال تحمل طابعًا فريدًا يعكس خصوصيته الفنية.

ويُعدّ كل عمل فني بمثابة مرآة تعكس شخصية الفنان وتجاربه الحياتية ومواقفه الفكرية، إذ تتجلى فيه بصمته الخاصة التي تميّزه عن غيره من الفنانين. ومن هنا، تتعدد الأساليب الفنية بتعدد المبدعين، حيث يطور كل فنان لغته التعبيرية الخاصة التي تعبّر عن رؤيته للعالم، سواء من خلال اختيار الألوان، أو طريقة بناء التكوين، أو طبيعة الموضوعات التي يتناولها¹.

ولا يقتصر الإبداع في الفن التشكيلي على الجانب الشكلي فقط، بل يمتد ليشمل الفكرة والتقنية وطريقة المعالجة، مما يمنح العمل الفني عمقًا وتفردًا. فقد يكون الابتكار في توظيف خامات غير تقليدية، أو في تقديم فكرة جديدة، أو في كسر القواعد الفنية السائدة وإعادة تشكيلها بطريقة مختلفة. وهذا ما يجعل الفن التشكيلي في حالة تطور مستمر، يتحدد مع كل تجربة جديدة، ويواكب التحولات الفكرية والثقافية التي يعيشها الإنسان، ليظل مجالًا مفتوحًا للإبداع لا تحدّه حدود ثابتة.

وتبرز كذلك خاصية الرمزية كأحد أهم مميزات الفن التشكيلي، حيث لا تقتصر الأعمال الفنية على المعنى الظاهر، بل تحمل في طياتها دلالات عميقة ورموزًا قد تكون مستمدة من الثقافة أو الدين أو التجربة الشخصية للفنان. وهذا ما يجعل العمل الفني قابلاً لتعدد القراءات والتأويلات، حيث يمكن لكل متلقٍ أن يفهمه بطريقة مختلفة حسب خلفيته الثقافية وتجربته الذاتية. وتُضفي هذه الخاصية على الفن التشكيلي عمقًا فكريًا يجعله يتجاوز كونه مجرد تمثيل بصري إلى كونه وسيلة للتعبير عن قضايا إنسانية وفلسفية.

¹ محمد عبد الكريم، مرجع سابق، ص 22-60

ومن الخصائص الأساسية كذلك في الفن التشكيلي خاصية التنوع، إذ يتميز هذا الفن بتعدد خاماته وتقنياته وأساليبه بشكل واسع، مما يفتح أمام الفنان آفاقاً إبداعية لا محدودة. فالفنان يمكنه أن يشتغل بمواد تقليدية مثل الألوان الزيتية والأكريليك والفحم، أو بمواد طبيعية كالأخشاب والطين، أو حتى بمواد صناعية وحديثة كالمعادن والبلاستيك والوسائط الرقمية، وهو ما يمنحه حرية كبيرة في اختيار الوسيط الذي يعبر من خلاله عن فكرته.

ولا يقف هذا التنوع عند حدود استخدام خامة واحدة، بل يمتد إلى إمكانية المزج بين تقنيات متعددة داخل العمل الفني الواحد، في إطار ما يُعرف بالتقنيات المختلطة، حيث تتداخل المواد والأساليب لنتج أعمالاً أكثر غنى وتعقيداً. وهذا التداخل يُسهم في كسر النمطية، ويُشجع على الابتكار والتجريب، مما يُعزز الطابع الديناميكي للفن التشكيلي.

كما يعكس هذا التنوع قدرة الفن التشكيلي على التكيف مع مختلف التطورات العلمية والتكنولوجية، حيث لم يعد الفن محصوراً في الوسائط التقليدية، بل انفتح على مجالات جديدة مثل الفن الرقمي، والتصميم بالحاسوب، والفن التفاعلي، مما وسّع من إمكانيات التعبير وأعاد تعريف مفهوم العمل الفني ذاته. وبذلك، يُظهر الفن التشكيلي مرونة كبيرة تجعله قادراً على مواكبة روح العصر، والتعبير عن التحولات المستمرة في حياة الإنسان ومجتمعه.

كما يتميز الفن التشكيلي بقدرته على تحقيق المتعة الجمالية، وهي خاصية أساسية تجعل من العمل الفني مصدراً للراحة النفسية والتأمل. فالتناسق بين الألوان، والتوازن في توزيع العناصر، والانسجام بين الخطوط والأشكال، كلها عناصر تُسهم في خلق تجربة بصرية ممتعة تؤثر في وجدان المتلقي. ولا تقتصر هذه المتعة على الجانب الحسي فقط، بل تمتد إلى الجانب النفسي والفكري، حيث يمكن للعمل الفني أن يُثير مشاعر مختلفة كالسعادة أو الحزن أو الدهشة، وأن يدفع المتلقي إلى التفكير والتأمل¹.

¹ عبد الحميد محمود، المرجع السابق، ص 31

وإضافةً إلى ذلك، يتميز الفن التشكيلي بخاصية التعبير الحر، حيث لا يخضع لقواعد جامدة أو أنماط صارمة كما هو الحال في بعض الفنون الأخرى، بل يفتح أمام الفنان مجالاً واسعاً للتجريب والانطلاق خارج الأطر التقليدية. فالفنان في هذا المجال لا يكون مقيّداً بنموذج واحد أو أسلوب محدد، بل يمتلك حرية اختيار الطريقة التي يعبر بها عن رؤيته، سواء من خلال الشكل أو اللون أو التكوين أو حتى الفكرة ذاتها.

وقد أسهمت هذه الحرية في بروز العديد من الحركات الفنية الحديثة والمعاصرة، التي قامت على مبدأ الابتكار والتجديد، ودعت إلى التحرر من القيود الكلاسيكية التي كانت تفرض معايير محددة للجمال والتعبير. فلم يعد الهدف هو محاكاة الواقع بدقة، بل أصبح التركيز على التعبير عن الإحساس الداخلي، أو طرح تساؤلات فكرية، أو حتى كسر التوقعات لدى المتلقي¹.

ومن هنا، أصبح الفن التشكيلي فضاءً مفتوحاً للإبداع الفردي، يُعبر فيه الفنان عن ذاته بحرية، وي طرح من خلاله قضايا وأفكاره دون قيود مسبقة. كما أتاح هذا التحرر تنوعاً كبيراً في الأساليب والاتجاهات، مما جعل الساحة الفنية أكثر حيوية وثراءً، وعكس في الوقت ذاته التحولات الفكرية والثقافية التي يشهدها العالم. وبذلك، تُعدّ خاصية التعبير الحر أحد أهم العوامل التي تُسهم في استمرار تطور الفن التشكيلي وتجددّه عبر الزمن.

وعليه، فإن هذه الخصائص مجتمعة تجعل من الفن التشكيلي مجالاً غنياً ومتعدد الأبعاد، يجمع بين الجمال والتعبير والفكر في آنٍ واحد، ويُجسّد قدرة الإنسان على الإبداع والتجديد في أرقى صوره. فهو ليس مجرد نشاط فني قائم على إنتاج أعمال جمالية، بل هو وسيلة عميقة للتواصل الإنساني، تُعبّر من خلالها الذات عن رؤيتها للعالم، وتنقل أفكارها ومشاعرها بلغة بصرية تتجاوز حدود الكلمات.

كما يُسهم الفن التشكيلي في تنمية الحسّ الجمالي والذوق الفني لدى الأفراد، ويُعزّز قدرتهم على التأمل والتحليل والنقد، مما يجعله عنصراً مهماً في التربية والثقافة. وعلى المستوى الاجتماعي، يُعدّ

¹ عبد الحميد محمود، المرجع السابق، ص 31

وسيلة فعالة للتعبير عن قضايا المجتمع وتطلعاته، كما يُسهم في حفظ الذاكرة الجماعية وتوثيق التجارب الإنسانية عبر الزمن.

ومن هذا المنطلق، تتجلى أهمية الفن التشكيلي في كونه جسراً يربط بين الفرد ومحيطه، وبين الماضي والحاضر، وبين الفكر والإحساس، مما يمنحه مكانة متميزة في حياة الإنسان، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، ويجعله أحد أبرز مظاهر الحضارة الإنسانية وتطورها المستمر¹.

رابعا : نشأة الفنون التشكيلية وأهم مراحلها وتطورها عبر العصور

ترجع نشأة الفنون التشكيلية إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث بدأ الإنسان الأول بمحاولات بسيطة في ظاهرها، لكنها عميقة الدلالة في جوهرها، للتعبير عن ذاته ومحيطه. فقد شكّلت الرسومات التي خلّدها على جدران الكهوف أولى البوادر الحقيقية لظهور الفن في التاريخ الإنساني، إذ لم تكن مجرد خطوط عشوائية، بل حملت معاني ودلالات تعبّر عن وعي الإنسان الأول بالعالم من حوله. وقد صوّر من خلالها مشاهد الصيد والحيوانات والطقوس اليومية، في محاولة لتوثيق حياته وفهم بيئته، وربما أيضاً للتأثير فيها وفق معتقداته البدائية.

ولم يكن الهدف من هذه الرسومات التزيين فقط، بل كانت تؤدي وظائف متعددة، منها التواصل مع أفراد الجماعة، ونقل الخبرات، وترسيخ المعتقدات المرتبطة بالقوى الغيبية والطبيعة. كما يرى بعض الباحثين أن لهذه الرسومات أبعاداً رمزية أو سحرية، حيث كان الإنسان يعتقد أن تصوير الحيوان قد يمنحه نوعاً من السيطرة عليه في الواقع، خاصة في سياق الصيد والبقاء.

وتُعدّ هذه المرحلة نقطة الانطلاق الأساسية التي تكشف عن الحاجة الفطرية لدى الإنسان للتعبير البصري، وهي حاجة رافقته عبر مختلف مراحل تطوره. فمن خلال هذه البدايات البسيطة، وضع الإنسان الأسس الأولى للفن التشكيلي، الذي سيتطور لاحقاً ليأخذ أشكالاً أكثر تعقيداً وتنظيماً،

¹ محمد الهادي سعد، *الفنون التشكيلية وتطورها*، دار الثقافة، 2012، ص 70.

مع تطور الفكر الإنساني وظهور الحضارات. وهكذا، يمكن اعتبار فنون ما قبل التاريخ اللبنة الأولى في بناء تاريخ الفن، حيث مهّدت الطريق لظهور أنماط فنية أكثر نضجًا، تعكس تطور الإنسان في إدراكه لذاته وللعالم من حوله.¹

ومع ظهور الحضارات القديمة، شهد الفن التشكيلي تطورًا كبيرًا من حيث التقنية والمضمون، حيث أصبح أكثر ارتباطًا بالبنية الاجتماعية والدينية والسياسية لتلك الحضارات. ففي الحضارة المصرية القديمة، بلغ الفن درجة عالية من التنظيم والدقة، حيث ظهرت الرسوم الجدارية والنقوش التي زينت المعابد والمقابر، وكانت تعكس معتقدات المصريين حول الحياة والموت والخلود. وتميّز الفن المصري بطابعه الرمزي والالتزام بقواعد صارمة في التمثيل، مثل وضعية الأجسام وتوزيع العناصر، مما جعله فنًا ذا هوية واضحة ومستقرة عبر قرون طويلة.²

أما في الحضارة اليونانية، فقد شهد الفن التشكيلي تحولًا نوعيًا بارزًا، حيث اتجه نحو إبراز الجمال المثالي للإنسان، وجعل من الجسد البشري محورًا أساسيًا للعمل الفني. وقد برع الفنانون اليونانيون، خاصة في فنّ النحت، حيث أظهروا قدرة فائقة على دراسة الجسم البشري دراسة دقيقة قائمة على الملاحظة والمعرفة، مما مكّنهم من تمثيل تفاصيله بتوازن وانسجام لافتين. ولم يكن هدفهم مجرد نقل الواقع كما هو، بل السعي نحو تحقيق نموذج مثالي للجمال يجمع بين الدقة والانسجام والكمال.

وقد تميّزت التماثيل اليونانية بخصائص جمالية واضحة، مثل التناسق بين أجزاء الجسم، والاهتمام بالحركة الطبيعية، وإبراز العضلات بشكل واقعي دون مبالغة، إلى جانب تحقيق التوازن في الوقفة فيما يُعرف بوضعية "الكونتراپوستو"³ التي تُضفي حيوية على الشكل. كما عكست هذه الأعمال تقديس الإنسان بوصفه مركز الكون، وتحسينًا للقوة والعقل والجمال.

¹ محمد الهادي سعد، المرجع السابق، ص 70-72

² المرجع نفسه، ص 73

³ الكونتراپوستو (Contrapposto) هو مصطلح في الفن، خاصة النحت، يصف وضعية يقف فيها الجسد بحيث يكون الوزن مركّزًا على ساق واحدة، بينما تكون الساق الأخرى مرتخية. هذا يخلق ميلًا طبيعيًا في الحوض والكتفين، فيعطي الإحساس بالحركة والحيوية بدل الجمود والتناظر الصارم. Encyclopaedia Britannica. (n.d.). Contrapposto. In Britannica. Retrieved May 02, 2026, from [Britannica](https://www.britannica.com)

وقد أرسّت الحضارة اليونانية بذلك أسس الجمال الكلاسيكي، التي أصبحت مرجعاً مهماً في تاريخ الفن، وأثّرت بشكل كبير في الفنون الأوروبية لقرون طويلة، خاصة خلال عصر النهضة الذي استلهم هذه القيم وأعاد إحياءها. وهكذا، أصبح الإنسان في الفن اليوناني مقياساً للجمال وموضوعاً رئيسياً للتعبير، مما يعكس تطور النظرة الفلسفية للإنسان ومكانته في الكون.

وفي العصور الوسطى، اتخذ الفن التشكيلي طابعاً دينياً واضحاً، حيث ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمؤسسات الدينية. ففي العالم الإسلامي، ازدهر الفن الإسلامي الذي تميّز بالزخارف الهندسية والنباتية وفن الخط العربي، حيث تجنّب تصوير الكائنات الحية في كثير من الأحيان، وركّز على التجريد والتناغم والتكرار، مما أضفى عليه طابعاً روحانياً مميزاً. أما في أوروبا، فقد هيمنت الكنيسة على الإنتاج الفني، حيث ركّز الفنانون على تصوير الموضوعات الدينية والقصص الإنجيلية، وكان الهدف من الفن هو التعليم والتوجيه الروحي أكثر من التعبير الفردي¹.

ومع بداية عصر النهضة في أوروبا، شهد الفن التشكيلي تحوّلاً جذرياً في مساره، حيث عاد الاهتمام بالإنسان والطبيعة بوصفهما محورين أساسيين للتعبير الفني، بعد فترة طويلة هيمنت فيها الموضوعات الدينية بأساليب تقليدية. وقد تميّزت هذه المرحلة بنزعة إنسانية واضحة، جعلت من الإنسان مركزاً للكون، ومصدراً للإلهام الفني والفكري.

وفي هذا السياق، بدأ الفنانون في اعتماد منهج علمي في دراسة عناصر العمل الفني، فاهتموا بدراسة المنظور لإعطاء الإحساس بالعمق والبعد الثالث، كما أولوا عناية خاصة بالضوء والظل لإبراز الكتلة والحجم، إلى جانب دراسة التشريح البشري بدقة، مما مكّنهم من تمثيل الجسد الإنساني بشكل أكثر واقعية وإتقان. وقد أسهمت هذه المعارف في إنتاج أعمال فنية تتسم بالدقة والانسجام، وتجمع بين الجمال الفني والمعرفة العلمية².

¹نبيل علي، ثقافة الصورة، عالم المعرفة، 2003، ص 100
²شاكر عبد الحميد، الفن والإدراك، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 2001، ص 73

وقد برز في هذه الفترة عدد من الفنانين الكبار الذين تركوا بصمة واضحة في تاريخ الفن، حيث لم يقتصر دورهم على الإبداع فقط، بل امتد إلى تطوير التقنيات والأساليب الفنية، وابتكار طرق جديدة في التعبير. فأسهموا في إرساء قواعد فنية جديدة، ومهدوا الطريق لظهور اتجاهات لاحقة أكثر تحرراً وتنوعاً.

وهكذا، يُعدّ عصر النهضة مرحلة مفصلية في تاريخ الفن التشكيلي، إذ نقل الفن من الطابع التقليدي إلى آفاق أوسع من الإبداع والبحث، وأسّس لظهور الفن الحديث، الذي سيواصل بدوره مسيرة التطور والتجديد في التعبير عن الإنسان والعالم.

وفي العصر الحديث، شهد الفن التشكيلي تحولات متسارعة نتيجة التغيرات الاجتماعية والصناعية والفكرية، حيث ظهرت مدارس فنية متعددة، كل منها يحمل رؤية جديدة للفن. فظهرت الانطباعية التي ركزت على الضوء والانطباع اللحظي، والتكعيبية التي أعادت بناء الشكل من خلال تفكيكه إلى عناصر هندسية، والسريالية التي اهتمت بعالم اللاوعي والأحلام. وقد مثّلت هذه الحركات خروجاً عن القواعد التقليدية وسعيًا نحو التجديد والابتكار¹.

أما في العصر المعاصر، فقد تجاوز الفن التشكيلي الحدود الكلاسيكية بشكل غير مسبوق، حيث لم يعد مرتبطاً بوسائط محددة أو قواعد ثابتة، بل أصبح مجاًلاً مفتوحاً للتجريب والتداخل بين الفنون. فظهرت الفنون الرقمية، وفن الأداء، والفن المفاهيمي، وفن التركيبات، حيث أصبحت الفكرة أحياناً أهم من الشكل، وأصبح المتلقي جزءاً من العمل الفني في بعض التجارب. كما تأثر الفن المعاصر بالتكنولوجيا والعولمة، مما جعله أكثر تنوعاً وتداخلاً مع مجالات أخرى.

¹شاكر عبد الحميد، المرجع السابق، ص 80

وهكذا، فإن تطور الفن التشكيلي عبر العصور يعكس مسيرة الإنسان الفكرية والثقافية، ويبرز كيف تحوّل من وسيلة بدائية للتعبير إلى مجال معقّد يجمع بين الجمال والفكر والتقنية، مما يجعله مرآة حقيقية لتطور الحضارات الإنسانية عبر الزمن.

المبحث الثاني علاقة الفن بالتربية

أولاً: تعريف التربية في الوسط المدرسي

تُعَدّ التربية من المفاهيم الأساسية والمحورية التي يقوم عليها بناء الفرد والمجتمع، إذ تمثل عملية إنسانية شاملة ومستمرة تهدف إلى تنمية شخصية الإنسان في مختلف أبعادها العقلية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية. فهي لا تقتصر على مرحلة زمنية محددة، ولا تنحصر في إطار المؤسسات التعليمية فقط، بل تمتد لتشمل جميع المواقف والخبرات التي يمر بها الفرد في حياته، بدءاً من الأسرة وصولاً إلى المدرسة والمجتمع بمختلف مؤسساته¹.

ولا يمكن اختزال التربية في كونها مجرد عملية تلقين أو نقل للمعارف، بل هي عملية تفاعلية ديناميكية تقوم على تنمية قدرات الفرد وإمكاناته، وتوجيه سلوكه نحو التكيف الإيجابي مع محيطه. فهي تسعى إلى بناء شخصية متوازنة قادرة على التفكير النقدي، واتخاذ القرار، وتحمل المسؤولية، والتفاعل مع الآخرين بروح من التعاون والاحترام. كما تُسهم في غرس القيم والمبادئ التي تُنظّم حياة الفرد داخل المجتمع، وتعزز انتماءه وهويته.

ومن هذا المنطلق، تُعتبر التربية أداة رئيسية في تحقيق التنمية الشاملة، لأنها تُعنى بإعداد الإنسان القادر على الإبداع والابتكار، ومواكبة التغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم. فهي تُنمّي لدى الفرد مهارات التفكير، وتُعزّز قدرته على التعلم المستمر، مما يجعله عنصراً فاعلاً في بناء مجتمعه وتقدّمه. وبذلك،

¹حسن زيتون، تصميم التدريس: رؤية منظومية، عالم الكتب، القاهرة، 2001، ص 45

تُشكّل التربية الأساس الذي تقوم عليه نهضة الأمم، إذ لا يمكن تحقيق أي تقدم حقيقي دون الاستثمار في الإنسان وتنمية قدراته بشكل متكامل¹.

وفي الوسط المدرسي، تأخذ التربية طابعاً مؤسسياً منظماً، حيث تُمارس داخل إطار محدد تحكمه مناهج وبرامج تعليمية وتربوية تُصمّم بعناية لتحقيق أهداف واضحة ومخطط لها مسبقاً. وتتميّز هذه التربية بطابعها المقصود والمهدف، إذ تقوم على أسس علمية وتربوية تسعى إلى تحقيق تنمية شاملة ومتوازنة لشخصية المتعلم، في انسجام مع متطلبات المجتمع وتحديات العصر.

وتُعَدّ المدرسة المؤسسة التربوية الرسمية التي تتولى مهمة تربية النشء، حيث لا تقتصر وظيفتها على نقل المعارف وتقديم المعلومات، بل تمتد لتشمل تنمية مختلف جوانب شخصية التلميذ، سواء العقلية أو النفسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية. فهي فضاء للتعليم والتنشئة في آنٍ واحد، تُسهم في إعداد الفرد للحياة، وتُنمّي لديه روح المسؤولية والانضباط، وتُعزّز قيم التعاون والاندماج².

وتُعرّف التربية المدرسية بأنها مجموعة من العمليات التربوية المقصودة والمنظمة التي تتم داخل المؤسسة التعليمية، والتي تهدف إلى تنمية قدرات المتعلمين الفكرية والمهارية، وتطوير كفاءاتهم، وتوجيه سلوكهم وفق منظومة من القيم والمعايير التي يتبناها المجتمع. كما تُسهم في تنمية مهارات التفكير النقدي والإبداعي، وتشجّع على التعلم الذاتي، مما يُمكن المتعلم من التكيف مع مختلف المواقف الحياتية³.

وبذلك، تُشكّل التربية المدرسية ركيزة أساسية في بناء الإنسان، إذ تُعدّ حلقة وصل بين الفرد والمجتمع، وتُسهم في تحقيق التوازن بين تنمية المعرفة وغرس القيم، مما يجعلها عنصراً حاسماً في تحقيق التنمية البشرية الشاملة.

وتتميّز التربية المدرسية بكونها عملية هادفة ومخططة، تعتمد على أساليب تربوية متنوعة تراعي خصائص المتعلمين واحتياجاتهم، كما تستند إلى أسس علمية ونفسية تضمن تحقيق أفضل النتائج. فهي تسعى

¹ المرجع نفسه، ص 47

² حسن زيتون، المرجع السابق، ص 56

³ عبد الرحمن النقيب، مدخل إلى علوم التربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2012، ص 15

إلى تزويد التلميذ بالمعارف الأساسية التي تمكنه من فهم العالم من حوله، وفي الوقت نفسه تعمل على تنمية مهارات التفكير، كالتحليل والنقد والاستنتاج، مما يساعده على مواجهة المشكلات واتخاذ القرارات المناسبة.

ولا تقتصر التربية في المدرسة على الجانب المعرفي، بل تشمل كذلك بناء القيم والاتجاهات والسلوكيات، حيث تُسهم في غرس مبادئ التعاون، والانضباط، واحترام الآخر، وتحمل المسؤولية. كما تلعب دوراً مهماً في تنمية الحس الأخلاقي لدى التلميذ، من خلال توجيهه نحو السلوك الإيجابي وتعزيز القيم الإنسانية النبيلة. ومن هنا، تُعدّ التربية وسيلة أساسية لتحقيق التوازن بين الجوانب المختلفة لشخصية المتعلم، فلا يقتصر تكوينه على المعرفة فقط، بل يشمل أيضاً تنمية الجوانب الوجدانية والاجتماعية¹. كما تُعتبر التربية المدرسية عملية ديناميكية مستمرة، تتأثر بالتغيرات الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية التي يشهدها العالم، مما يفرض عليها التطور المستمر في أساليبها ومناهجها لتواكب هذه التحولات. فهي لا تعمل في فراغ، بل تتفاعل مع محيطها، وتسعى إلى إعداد الفرد القادر على التكيف مع متطلبات العصر والمساهمة الفعالة في تنمية مجتمعه.

وعليه، فإن التربية المدرسية تمثل حجر الأساس في بناء الإنسان المتكامل، حيث تجمع بين تنمية المعرفة، وصقل المهارات، وترسيخ القيم، مما يجعلها عملية شاملة تسهم في إعداد جيل واع ومسؤول، قادر على مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل والمشاركة الإيجابية في بناء المجتمع.

ثانياً: أهداف التربية في المدرسة الحديثة

¹ عبد الرحمن النقيب، مرجع سابق، ص 25

تسعى التربية المدرسية إلى تحقيق مجموعة متكاملة من الأهداف التي تندرج ضمن إطار بناء الإنسان الصالح والمواطن الواعي القادر على الإسهام الفعّال في مجتمعه، إذ لا تقتصر هذه الأهداف على جانب واحد من جوانب الشخصية، بل تمتد لتشمل الجوانب العقلية والوجدانية والاجتماعية والمهارية. ومن أبرز هذه الأهداف تنمية القدرات العقلية لدى التلميذ، حيث تعمل المدرسة على تعزيز مهارات التفكير بمختلف مستوياته، بدءًا من الفهم والاستيعاب، وصولًا إلى التحليل والتركيب والتقييم. كما تُسهم في تنمية التفكير النقدي الذي يمكّن المتعلم من التمييز بين المعلومات الصحيحة والخاطئة، واتخاذ مواقف مبنية على أسس عقلية ومنطقية، إضافة إلى تزويده بالمعارف العلمية والثقافية التي تساعد على فهم الظواهر المختلفة والتفاعل مع محيطه بوعي وإدراك¹.

ولا يقلّ الجانب القيمي أهمية عن الجانب المعرفي في التربية المدرسية، إذ تسعى المدرسة إلى غرس منظومة من القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تُعدّ أساسًا لبناء مجتمع متماسك ومستقر. فالتعليم لا يهدف فقط إلى تنمية العقل بالمعارف، بل أيضًا إلى تهذيب السلوك وتوجيهه وفق مبادئ تُنظّم علاقة الفرد بذاته وبالآخرين. ومن بين هذه القيم الأساسية: التعاون، والانضباط، والاحترام المتبادل، وتحمل المسؤولية، والالتزام بالقوانين، وهي قيم تُشكّل الإطار الذي يضبط السلوك الاجتماعي ويُعزّز الانسجام داخل المجتمع.

وتُكتسب هذه القيم من خلال الممارسات اليومية داخل البيئة المدرسية، حيث يتعلم التلميذ بشكل غير مباشر عبر التفاعل مع المعلمين والزملاء، ومشاركته في الأنشطة التربوية المختلفة، مثل العمل الجماعي، والأنشطة الثقافية، والرياضية، والفنية. كما تلعب القدوة الحسنة التي يقدمها المعلم دورًا محوريًا في ترسيخ هذه القيم، إذ يُعدّ سلوكه نموذجًا يحتذى به المتعلم في مواقفه اليومية.

وتكمن أهمية هذا البعد القيمي في كونه يُسهم في إعداد فرد متوازن قادر على التعايش مع الآخرين في إطار من الاحترام والتسامح، وقبول الاختلاف، والتفاعل الإيجابي مع محيطه الاجتماعي. كما يُعزّز

¹ علي جريشة، نحو نظرية للتربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995، ص 20

هذا التكوين القيمي روح المواطنة والانتماء، ويُنمّي لدى الفرد الإحساس بالمسؤولية تجاه مجتمعه، مما يجعله عنصراً فاعلاً في تحقيق الاستقرار والتنمية. وبذلك، تُشكّل القيم التربوية ركيزة أساسية لا تقل أهمية عن المعارف، بل تُكملها وتمنحها بُعداً إنسانياً وأخلاقياً ضرورياً.

ومن جهة أخرى، تسعى التربية المدرسية إلى تنمية الجوانب الوجدانية لدى التلميذ، إذ لا يقتصر دورها على بناء القدرات العقلية والمعرفية، بل يمتد ليشمل تحقيق التوازن النفسي والعاطفي. فهي تعمل على تعزيز ثقة التلميذ بنفسه، وتنمية تقديره لذاته، ومساعدته على التعبير عن مشاعره بطريقة سليمة، مما يُسهم في تكوين شخصية متزنة وقادرة على مواجهة مختلف المواقف الحياتية بثبات ووعي¹.

كما تهتم التربية المدرسية بتنمية المشاعر الإنسانية النبيلة، مثل التعاطف والتسامح واحترام الآخر، وهي قيم وجدانية تُعزّز العلاقات الاجتماعية الإيجابية داخل البيئة المدرسية وخارجها. ويُعدّ هذا الجانب أساساً في بناء شخصية قادرة على التفاعل الإنساني الراقي، وتقبّل الاختلاف، والتعاون مع الآخرين في إطار من الاحترام المتبادل.

وفي هذا السياق، تبرز أهمية تنمية الحسّ الجمالي والذوق الفني لدى التلميذ، حيث تُسهم التربية في تعويده على تقدير الجمال في مختلف صوره، سواء في الطبيعة أو الفن أو السلوك الإنساني. ويُساعد هذا التكوين الجمالي على صقل مشاعره وتنمية حساسيته تجاه القيم الجمالية، مما ينعكس إيجاباً على سلوكه وتفكيره².

وتلعب الأنشطة الفنية والثقافية دوراً محورياً في تحقيق هذه الأهداف، إذ تُوفّر للتلميذ فضاءً حرّاً للتعبير عن ذاته، واستكشاف ميوله واهتماماته، وتنمية مواهبه الإبداعية. كما تُعزّز هذه الأنشطة روح المبادرة والثقة بالنفس، وتُسهم في كسر الروتين الدراسي، مما يجعل العملية التربوية أكثر توازناً وشمولية، تجمع بين تنمية العقل والوجدان في آنٍ واحد.

¹ جابر عبد الحميد جابر، سيكولوجية التعلم، دار النهضة العربية، القاهرة، 2001، ص 35
² بطرس حافظ بطرس، طرق تدريس الطلبة ذوي الاضطرابات السلوكية والانفعالية، دار المسيرة، عمان، 2005، ص 55-

. كما تولي التربية الحديثة أهمية كبيرة لتنمية الإبداع والابتكار، حيث تشجع التلميذ على التفكير خارج الأطر التقليدية، والبحث عن حلول جديدة للمشكلات، وعدم الاكتفاء بالتلقين والحفظ. ويُعدّ هذا التوجه ضروريًا في ظل التغيرات السريعة التي يشهدها العالم، حيث أصبح الإبداع من أهم متطلبات النجاح في الحياة العلمية والعملية¹.

وفي سياق متصل، تهدف التربية المدرسية إلى إعداد المتعلم للحياة العملية، من خلال تنمية مجموعة من المهارات الحياتية الأساسية التي تُعدّ ضرورية لمواجهة تحديات الواقع. ومن أبرز هذه المهارات: القدرة على التواصل الفعال، والعمل ضمن فريق، وحلّ المشكلات بطريقة منهجية، واتخاذ القرار بشكل واعٍ ومسؤول. فهذه الكفاءات لا تقل أهمية عن المعارف النظرية، بل تُعدّ مكملتها، وتُساهم في تحويل التعلم إلى سلوك عملي قابل للتطبيق.

كما تسعى التربية إلى ربط التعلم بالواقع المعيش، بحيث لا يبقى ما يتلقاه التلميذ حبيس الكتب والمقررات، بل يتحول إلى خبرات عملية يُدرك من خلالها أهمية ما يتعلمه في حياته اليومية والمهنية المستقبلية. ويتم ذلك من خلال اعتماد أساليب تعليمية حديثة، مثل التعلم النشط، والتعلم بالمشاريع، وربط الدروس بمواقف حياتية واقعية، مما يُعزّز دافعية المتعلم ويُثمّن لديه الإحساس بجدوى التعلم².

ومن هذا المنطلق، تصبح التربية عملية وظيفية هادفة، لا تقتصر على إعداد المتعلم للنجاح الدراسي فقط، بل تتجاوزه إلى إعداده للحياة بكل أبعادها. فهي تُساهم في تكوين فرد قادر على الإنتاج، والمبادرة، والتكيف مع متطلبات سوق العمل، والمشاركة الفعّالة في تنمية مجتمعه. وبذلك، تُعدّ التربية المدرسية ركيزة أساسية في بناء الإنسان المنتج، الذي يجمع بين المعرفة والمهارة، وبين التفكير والعمل.

¹كمال عبد الحميد زيتون، *التدريس: نماذجه ومهاراته*، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص 70
²صالح أبو جادو، *علم النفس التربوي*، دار المسيرة، عمان، 2003، ص 60

وعليه، فإن أهداف التربية المدرسية تتكامل فيما بينها لتشكّل منظومة متوازنة تسعى إلى إعداد إنسان واعي، مثقف، مبدع، ومسؤول، قادر على التكيف مع متطلبات العصر والمساهمة في بناء مجتمع متقدم قائم على المعرفة والقيم الإنسانية.

ثالثاً: وظيفة الفن في التربية الحديثة

تُعدّ العلاقة بين الفنّ والتربية علاقة تكاملية عميقة، حيث يشكّل كلّ منهما امتداداً للآخر في عملية بناء الإنسان وتنمية شخصيته بشكل متوازن وشامل. فالتربية تسعى إلى تنمية الفرد في مختلف أبعاده، بينما يُعدّ الفن، وبخاصة الفن التشكيلي، وسيلة فعّالة لتحقيق هذه الغاية، لما يتيح من مجالات للتعبير والإبداع والتفاعل مع الذات والواقع.

ولا يُنظر إلى الفن في الإطار التربوي على أنه مجرد نشاط ترفيهي أو ثانوي، بل يُعتبر عنصراً أساسياً في العملية التعليمية، يُسهم في تحقيق أهداف التعليم الشامل. فمن خلال الأنشطة الفنية، يُمنح المتعلم فرصة للتعبير الحر عن أفكاره ومشاعره، بعيداً عن القيود التقليدية، مما يُعزّز ثقته بنفسه ويُنمّي لديه روح المبادرة والإبداع.

كما يُسهم الفن التشكيلي في تنمية الحسّ الجمالي لدى المتعلم، إذ يُدرّبه على ملاحظة الجمال في الأشكال والألوان والتناسق، ويُساعد على تذوق الأعمال الفنية وفهم دلالاتها. وهذا التكوين الجمالي لا يقتصر أثره على المجال الفني فقط، بل ينعكس على سلوك الفرد وطريقة تفكيره، فيُنمّي لديه الذوق الرفيع والقدرة على التمييز¹.

ومن جهة أخرى، يُعزّز الفن القدرات العقلية والوجدانية لدى المتعلم، حيث يُنمّي مهارات التفكير، كالتحليل والملاحظة والابتكار، كما يُسهم في تنمية الجانب العاطفي من خلال التعبير عن المشاعر والتفاعل مع تجارب الآخرين. وبذلك، يُشكّل الفن التشكيلي أداة تربوية متكاملة تُسهم في إعداد فرد

¹ عبد الرحيم النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، 2007، ص 50

متوازن، يجمع بين العقل والإحساس، وبين المعرفة والإبداع، مما يجعله قادرًا على التفاعل الإيجابي مع محيطه والمساهمة في بناء مجتمعه.

فمن الناحية العقلية، يُسهم الفن في تنمية مهارات التفكير لدى التلميذ، حيث يُحفّزه على الملاحظة الدقيقة، والتحليل، والمقارنة، والتخيل، وهي مهارات أساسية في بناء التفكير النقدي والإبداعي. فعندما يُقبل التلميذ على إنجاز عمل فني، فإنه لا يكتفي بتطبيق خطوات جاهزة، بل يُمارس عملية تفكير متكاملة تشمل اختيار الفكرة، وتحديد العناصر، وتنظيمها بطريقة تحقق التوازن والانسجام، مما يُنمّي قدراته الذهنية بطريقة غير مباشرة ولكن فعّالة¹.

أمّا من الناحية الوجدانية، فإنّ للفن دورًا بالغ الأهمية في تنمية مشاعر التلميذ وتحقيق توازنه النفسي، إذ يُوفّر له فضاءً آمنًا للتعبير عن ذاته وأحاسيسه بحرية، بعيدًا عن الضغوط المرتبطة ببقية المواد الدراسية. فممارسة أنشطة مثل الرسم أو التلوين أو التشكيل لا تقتصر على كونها أنشطة فنية، بل تُعدّ وسيلة فعّالة للتفريغ الانفعالي، حيث يُمكن للتلميذ من خلالها التعبير عمّا يختلج داخله من مشاعر بطريقة غير لفظية، مما يُسهم في تقليل التوتر والقلق، ويُعزّز شعوره بالراحة والطمأنينة.

كما يُساعد الفن على بناء الثقة بالنفس لدى التلميذ، إذ يشعر بالإنجاز عند إتمام عمل فني خاص به، خاصة عندما يُلقى هذا العمل التقدير والتشجيع من قبل المعلم أو الزملاء. وهذا الإحساس يُعزّز لديه تقدير الذات، ويدفعه إلى المزيد من الإبداع والمشاركة الفعّالة داخل القسم.

ومن جهة أخرى، يُسهم الفن في تنمية الذوق الجمالي لدى التلميذ، حيث يُعوّده على ملاحظة الجمال في مختلف مظاهره، سواء في الطبيعة أو في الأعمال الفنية. كما يُنمّي لديه الحساسية تجاه الألوان والأشكال والتناسق، مما يُثري تجربته الحسية ويُطوّر قدرته على التذوق الفني.

¹ أحمد علي الحاج، أصول التربية، دار الثقافة للنشر، عمان، 2010، ص 25

وبذلك، يُشكّل الفن التشكيلي أداة تربوية فعّالة في تنمية الجانب الوجداني، إذ يُساعد على تحقيق التوازن النفسي، ويُنمّي المشاعر الإنسانية، ويُسهّم في بناء شخصية متكاملة تجمع بين الحسن الجمالي والاستقرار العاطفي، مما ينعكس إيجاباً على سلوك التلميذ وتفاعله مع محيطه¹.

ومن الجانب الحسي، يُنمّي الفن التشكيلي قدرات التلميذ الإدراكية والحركية، حيث يُطوّر مهارات التنسيق بين اليد والعين، ويُعزز القدرة على التمييز بين الألوان والأشكال والأحجام. كما يُسهّم في تنمية الحواس المختلفة، خاصة حاسة البصر، من خلال تدريب التلميذ على ملاحظة التفاصيل الدقيقة وفهم العلاقات بين العناصر البصرية.

ولا يقتصر دور الفن في التربية على تنمية الفرد فقط، بل يمتد ليشمل تعزيز القيم الاجتماعية، حيث يُشجّع على العمل الجماعي والتعاون من خلال الأنشطة الفنية المشتركة، كما يُنمّي احترام آراء الآخرين وتقدير أعمالهم، مما يُعزز روح الحوار والتفاعل الإيجابي داخل القسم. إضافة إلى ذلك، يُسهّم الفن في ترسيخ الهوية الثقافية لدى التلميذ، من خلال تعريفه بالتراث الفني لمجتمعه، وربطه بقيمه الحضارية.

كما يُعدّ الفن وسيلة تعليمية فعّالة يمكن توظيفها في مختلف المواد الدراسية، حيث يُساعد على تبسيط المفاهيم المجردة وتحويلها إلى صور بصرية ملموسة، مما يُسهّل عملية الفهم والاستيعاب، خاصة لدى المتعلمين في المراحل الأولى. فالتعلم من خلال الفن يُضفي طابعاً من المتعة والتشويق، ويُقلّل من الملل، مما يزيد من دافعية التلميذ للتعلم والمشاركة².

وعليه، فإن العلاقة بين الفن والتربية ليست علاقة عرضية أو هامشية، بل هي علاقة جوهرية تقوم على التكامل والتفاعل المستمر، حيث يُسهّم كل منهما في دعم الآخر وتحقيق أهدافه. فالتربية في جوهرها تسعى إلى بناء إنسان متكامل، والفن يُعدّ من أهم الوسائل التي تُسهّم في تحقيق هذا البناء، لما يوفره من إمكانيات للتعبير والإبداع والتفاعل الوجداني.

¹ أحمد علي الحاج، المرجع السابق، ص 25

² تزي رابح، أصول التربية والتعليم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 30

فمن خلال إدماج الفن في العملية التربوية، تتحقق تنمية شاملة تشمل العقل والوجدان والحس، إذ يُنمّي الفن القدرات العقلية مثل الملاحظة والتحليل والابتكار، ويُعزّز الجانب الوجداني من خلال التعبير عن المشاعر وتنمية الحسّ الجمالي، كما يُسهم في صقل الذوق وتنمية الحساسية الفنية لدى المتعلم. وهذا التكامل يُفضي إلى تكوين شخصية متوازنة قادرة على التفكير والإحساس في آنٍ واحد¹.

كما يُساعد الفن على إعداد متعلم مبدع، يمتلك القدرة على التعبير عن ذاته بطرق متنوعة، ويُحسن التفاعل مع محيطه الاجتماعي والثقافي. فهو يُشجّع على الحرية في التفكير، ويُنمّي روح المبادرة، ويُعزّز الثقة بالنفس، مما يجعل المتعلم أكثر استعدادًا لمواجهة تحديات الحياة.

وبذلك، تتجلّى أهمية العلاقة بين الفن والتربية في كونها تُسهم في بناء إنسان متكامل الأبعاد، يجمع بين المعرفة والإبداع، وبين العقل والعاطفة، ويكون قادرًا على التفاعل الإيجابي مع مجتمعه، والمساهمة في تطويره، في إطار من الوعي والجمال والإنسانية².

كما يُسهم الفن بشكل فعّال في تنمية الذوق الجمالي لدى التلميذ، إذ يُدرّبه على ملاحظة التفاصيل الدقيقة في الأشكال والألوان والتناسق، ويُنمّي لديه القدرة على إدراك العلاقات الجمالية بين العناصر المختلفة داخل العمل الفني. وهذا التدريب المستمر يُكسب المتعلم حساسية بصرية عالية، تجعله أكثر وعيًا بما يحيط به من مظاهر الجمال في الطبيعة والمحيط اليومي، فيتعلّم كيف يرى الأشياء بعين متأمله لا بعين عابرة.

ولا يقتصر هذا التقدير على الجانب الحسي فقط، بل يمتد ليُكوّن لدى المتعلم وعيًا ثقافيًا وفنيًا يُمكنه من فهم الأعمال الفنية وتذوقها بعمق. فهو يتعلّم التمييز بين الأساليب الفنية المختلفة، ويدرك خصوصية كل عمل فني في سياقه التاريخي والثقافي، مما يُعزّز لديه القدرة على التحليل والنقد، ويُنمّي ذائقته الجمالية بشكلٍ واعٍ ومدرّس³.

¹تركي رابح، المرجع السابق، ص 33

²أحمد علي الحاج، المرجع السابق، ص 35

³محمد حسن العميرة، أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية، دار المسيرة، عمان، 2004، ص 45

كما ينعكس هذا التكوين الجمالي على سلوك التلميذ اليومي، إذ يُسهم في تهذيب ذوقه العام، ويُعزز اهتمامه بالنظام والتناسق والجمال في مختلف جوانب حياته، سواء في مظهره الشخصي أو في تعامله مع محيطه. وبذلك، يُصبح الفن وسيلة تربوية راقية تُسهم في الارتقاء بالسلوك الحضاري للفرد، وتُعزز لديه تقدير القيم الجمالية التي تُعدّ جزءًا أساسيًا من ثقافة المجتمع وتطوّره.

فالتربية الجمالية تُعدّ جزءًا لا يتجزأ من التربية الشاملة، لأنها تُهذّب الإحساس وتُنمّي الحس النقدي تجاه ما يحيط بالفرد من مظاهر بصرية وثقافية¹.

إضافة إلى ذلك، يُساعد الفن في تنمية مهارات التفكير الإبداعي، حيث يُشجّع التلميذ على الابتكار والتجريب والخروج عن الأنماط التقليدية في التفكير. فعند ممارسته لنشاط فني، يُصبح التلميذ في موقف يتطلب منه البحث عن حلول جديدة، واختيار أساليب تعبيرية خاصة به، مما يُنمّي قدرته على إنتاج أفكار أصيلة وغير مألوقة. وهذا النوع من التفكير يُعدّ من أهم ركائز التربية الحديثة، التي تسعى إلى إعداد متعلم قادر على مواجهة التحديات والتكيف مع التغيرات المتسارعة في مختلف مجالات الحياة.

كما يُعزز الفن الثقة بالنفس لدى المتعلم، إذ يمنحه فرصة التعبير عن ذاته بحرية، ويُشعره بقيمة إنجازاته حين يرى عمله الفني مُعترفًا به من قبل المعلم أو زملائه

وهذا الإحساس بالنجاح يُسهم بشكل كبير في بناء شخصية إيجابية ومتوازنة لدى التلميذ، إذ يُعزز ثقته بنفسه ويُشجّعه على المبادرة والمشاركة الفعّالة داخل القسم وخارجه. فحين يشعر المتعلم بأن جهوده مُقدّرة وأن ما يقدّمه من أعمال فنية له قيمة، يزداد دافعه للتعلم والإبداع، ويتحرر تدريجيًا من مشاعر الخجل أو التردد².

كما يُسهم الفن في التقليل من مظاهر الانطواء، خاصة لدى التلاميذ الذين يجدون صعوبة في التعبير اللفظي عن أفكارهم ومشاعرهم. ففي كثير من الأحيان، قد يعجز الطفل عن الإفصاح عمّا بداخله

¹ سعيد إسماعيل علي، أصول التربية العامة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 20.
² عبد الغني محمد إسماعيل العمراني، أصول التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008، ص 15

بالكلمات، لكنّه يستطيع التعبير عنه من خلال الرسم أو التلوين أو التشكيل، مما يمنحه شعورًا بالراحة ويُساعده على التواصل مع الآخرين بطريقة غير مباشرة.

ومن هنا، يُوقّر الفن للتلميذ لغة بديلة تُتيح له التعبير بحرية وأمان، دون خوف من الخطأ أو النقد، وهو ما يُعزّز لديه الإحساس بالقبول والانتماء. كما يُسهم هذا النمط من التعبير في تفريغ الانفعالات المكبوتة بطريقة إيجابية، ويُساعد على تحقيق التوازن النفسي، مما ينعكس بشكل واضح على سلوكه وتفاعله داخل البيئة المدرسية. وبذلك، يُصبح الفن أداة تربوية فعّالة في دعم النمو النفسي والاجتماعي للمتعلم، خاصة في المراحل المبكرة من التعليم¹.

ولا يقتصر دور الفن على تنمية الجوانب الفردية فقط، بل يمتد ليشمل الجانب الاجتماعي، حيث يُسهم في تعزيز روح التعاون والعمل الجماعي من خلال الأنشطة الفنية المشتركة، مثل إنجاز لوحات جماعية أو مشاريع فنية داخل القسم. ومن خلال هذه الأنشطة، يتعلم التلاميذ كيفية تقاسم الأدوار، واحترام آراء الآخرين، والعمل ضمن فريق لتحقيق هدف مشترك، مما يُنمّي لديهم مهارات التواصل والتفاعل الاجتماعي.

كما يُساعد الفن على تقوية العلاقات بين التلاميذ، ويخلق جوًا من الألفة والتفاهم داخل البيئة المدرسية، حيث يُصبح النشاط الفني مجالًا للتقارب والتعبير المشترك. وهذا بدوره يُسهم في تحسين المناخ التربوي داخل القسم، ويجعل عملية التعلم أكثر متعة وفاعلية².

وبذلك، يُمكن القول إنّ الفن يُعدّ عنصرًا أساسيًا ومحوريًا في العملية التربوية، لما له من دور فعّال في تنمية مختلف جوانب شخصية المتعلم، سواء العقلية أو الوجدانية أو الاجتماعية. فهو لا يقتصر على كونه نشاطًا تكميليًا، بل يُشكّل أداة تربوية متكاملة تُسهم في بناء إنسان قادر على التفكير والإحساس والتفاعل في آنٍ واحد.

¹ إبراهيم عصمت مطاوع، أصول التربية، دار الفكر العربي، 2000، ص 30

² عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، ص 112

فمن الناحية العقلية، يُنمّي الفن مهارات التفكير والإبداع والملاحظة والتحليل، ويُشجّع على الابتكار والتجريب، مما يُعزّز القدرات الذهنية للمتعلم. ومن الناحية الوجدانية، يُساعد على التعبير عن المشاعر وتحقيق التوازن النفسي، ويُنمّي الحسّ الجمالي والذوق الفني. أما من الناحية الاجتماعية، فيُسهم في تعزيز روح التعاون والتواصل، ويُنمّي قيم الاحترام والانفتاح على الآخر¹.

وبهذا التكامل، يُسهم الفن في بناء شخصية متوازنة ومبدعة، قادرة على التعبير عن ذاتها بطرق متنوعة، والتفاعل الإيجابي مع محيطها، والتكيّف مع مختلف التحديات. كما يُعزّز دور الفرد في المجتمع، ويُنمّي لديه روح المبادرة والمشاركة، مما يجعله عنصراً فاعلاً في تحقيق التنمية والتقدم.

وعليه، فإن إدماج الفن في العملية التربوية يُعدّ ضرورة ملحة، وليس خياراً ثانوياً، لما له من أثر عميق في إعداد أجيال واعية ومبدعة، قادرة على بناء مجتمع متطور قائم على الإبداع، ومتشبع بالقيم الإنسانية الراقية.

المبحث الثالث: وظيفة الفن في التربية

أولاً: أهمية معالم مساهمة الفن في تربية الطفل

يُعدّ الفنّ من الوسائل التربوية الأساسية التي تُسهم بفعالية في بناء شخصية الطفل وتنمية قدراته منذ المراحل الأولى من عمره، حيث يُمثّل لغة تعبيرية بديلة تُتيح له التواصل مع محيطه بطريقة تلقائية وعفوية، خاصة في ظل محدودية قدراته اللغوية في هذه المرحلة. فالطفل قد يعجز عن التعبير بالكلمات عمّا يشعر به أو يفكر فيه، لكنّه يستطيع أن يُجسّد ذلك من خلال الرسم أو التلوين أو التشكيل، مما يجعل الفن وسيلة طبيعية للتواصل والتعبير في آنٍ واحد.

¹ علي أحمد مدكور، *مناهج التربية: أسسها وتطبيقاتها*، دار الفكر العربي، 2005، ص 70

ويؤمّن الفن للطفل مساحة حرة وآمنة يُعبّر فيها عن أفكاره ومشاعره ورغباته دون خوف أو تقييد، الأمر الذي يُسهم في تفريغ انفعالاته بشكل إيجابي، ويُساعد على تحقيق التوازن النفسي. كما يُمكنه من استكشاف ذاته والتعرّف على ميوله واهتماماته، مما يُعزّز ثقته بنفسه ويُنمي لديه الشعور بالاستقلالية¹.

ولا يقتصر دور الفن على الجانب الوجداني فقط، بل يمتد ليشمل تنمية الجوانب العقلية والحركية، حيث يُنمي مهارات الملاحظة والتركيز، ويُعزّز القدرة على التخيل والإبداع، كما يُساعد على تطوير التناسق الحركي الدقيق من خلال استخدام اليدين في التلوين أو القص أو التشكيل. إضافة إلى ذلك، يُسهم الفن في تنمية الحسّ الجمالي لدى الطفل، ويُعوّده على تقدير الجمال في الأشكال والألوان، مما يُثري تجربته الحسية والإدراكية.

ومن هذا المنطلق، لا يُنظر إلى الفن على أنّه مجرد نشاط ترفيهي أو وسيلة ملء الوقت، بل يُعدّ أداة تربوية وتعليمية ذات أهمية كبيرة، تُسهم في تنمية مختلف جوانب شخصية الطفل بشكل متكامل، وتُمهّد لبناء فرد متوازن، قادر على التعبير عن ذاته، والتفاعل الإيجابي مع محيطه منذ سنواته الأولى.

ويُتّخذ بالفن في تربية الطفل مختلف الأنشطة الإبداعية التي يمارسها، مثل الرسم، والتلوين، والتشكيل بالطين، والقص واللصق، واللعب الفني، وهي أنشطة تُتيح له فرصة الاستكشاف والتجريب، وتُنمي لديه روح المبادرة والاعتماد على النفس. فمن خلال هذه الأنشطة، يتعرّف الطفل على الألوان والأشكال والملمس، ويبدأ في تكوين إدراكه البصري والحسي للعالم من حوله، مما يُسهم في تطوير قدراته الإدراكية بشكل تدريجي².

كما يُسهم الفن في تنمية التفكير لدى الطفل، حيث يُحفّزه على التخيل والابتكار، ويُساعد على بناء علاقات بين الأشياء، وفهمها بطريقة غير مباشرة. فعندما يرسم الطفل أو يُشكّل مجسمًا بسيطًا،

¹ محمد محمود الحيلة، التربية الفنية وأساليب تدريسها، دار المسيرة، عمان، 1998، ص 35.

² محمد محمود الحيلة، مرجع سابق، ص 40.

فإنه يُمارس نوعاً من التفكير الإبداعي الذي يقوم على الربط بين الخيال والواقع، وهذا بدوره يُعزّز قدرته على حل المشكلات بطريقة مرنة ومبتكرة.

ومن الجانب النفسي، يلعب الفن دوراً مهماً في تحقيق التوازن الانفعالي للطفل، إذ يُساعده على التعبير عن مشاعره المكبوتة، سواء كانت فرحاً أو خوفاً أو قلقاً، بطريقة آمنة ومقبولة. فالألوان والخطوط والأشكال تُصبح وسيلة يعكس من خلالها حالته النفسية، مما يُمكن المربي أو المعلم من فهمه بشكل أعمق والتعامل معه بشكل أفضل. كما يُسهم الفن في تعزيز ثقة الطفل بنفسه، حيث يشعر بالإنجاز عندما يُتم عملاً فنياً، ويُقدّر ما قام به، خاصة إذا لقي التشجيع والدعم من محيطه¹.

ومن الناحية الحركية، يُساعد الفن على تنمية المهارات الدقيقة لدى الطفل، مثل التحكم في حركة اليد والتنسيق بين العين واليد، وهو ما يُعدّ أساساً مهماً لتعلم الكتابة لاحقاً. كما تُسهم الأنشطة الفنية في تحسين التركيز والانتباه، حيث يتطلب إنجاز العمل الفني درجة من الصبر والمتابعة².

ولا يقتصر دور الفن على تنمية الجوانب الفردية فقط، بل يمتد ليشمل تنمية الجوانب الاجتماعية، حيث يُشجّع الطفل على التفاعل مع أقرانه من خلال الأنشطة الجماعية، ويُعلّمه احترام أعمال الآخرين وتقديرها، كما يُنمّي لديه روح التعاون والمشاركة.

وعليه، فإن الفن يُمثّل عنصراً أساسياً في تربية الطفل، لما له من دور شامل في تنمية قدراته العقلية والحسية والنفسية والاجتماعية، حيث يُسهم في بناء شخصية متوازنة ومبدعة، ويُعدّه ليكون فرداً قادراً على التعبير عن ذاته والتفاعل الإيجابي مع محيطه منذ سنواته الأولى³.

كما يُساهم الفن إسهاماً فعالاً في الكشف عن ميول الطفل وقدراته الكامنة، إذ يُعدّ النشاط الفني مرآة صادقة تعكس جوانب متعددة من شخصيته، سواء من حيث اهتماماته أو حالته النفسية أو مستوى نموه الإدراكي. فمن خلال ملاحظة رسومات الطفل واختياراته للألوان والأشكال، يمكن

¹قاسم محمد كوفحي، محمد يوسف نصار، نظريات فنية، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2008، ص 18.

²جودة، مدخل إلى التربية الفنية (1999)، ص 65.

³محمد محمود الحيلة، التربية الفنية وأساليب تدريسها، دار المسيرة، عمان، 1998، ص 41.

للمربي أو المعلم أن يستشفّ الكثير من الدلالات المرتبطة بعالمه الداخلي، مثل ميوله نحو موضوعات معينة، أو تعبيره عن مشاعر الفرح أو القلق أو الخوف. وهذا ما يجعل الفن أداة تشخيصية غير مباشرة تُساعد على فهم الطفل بشكل أعمق، وتُمكن من توجيهه تربويًا بطريقة تراعي خصوصياته الفردية.

يُتيح الفنّ فرصة ثمينة لاكتشاف المواهب المبكرة لدى الأطفال، إذ يمكن أن تظهر بوادر الإبداع والتميّز منذ سنّ صغيرة من خلال ممارسات بسيطة كالرسم أو التلوين أو التشكيل. فهذه الأنشطة لا تُعدّ مجرد وسائل للترفيه، بل تُشكّل أدوات كاشفة لقدرات الطفل الكامنة، مثل قوة الملاحظة، والخيال الواسع، والقدرة على التعبير البصري، مما يُساعد المربي أو المعلم على التعرّف على ميوله واهتماماته في وقت مبكر، والتعامل معها بوعي تربوي مناسب.

ويُسهّم هذا الاكتشاف المبكر في توجيه الطفل نحو تنمية هذه المواهب وصقلها، من خلال توفير بيئة تربوية محفّزة تُشجّع على الإبداع والتجريب، بعيدًا عن التقييد أو فرض القوالب الجاهزة. كما يُعدّ التوجيه السليم عاملاً أساسيًا في تطوير مهارات الطفل، حيث يُقدّم له الدعم بطريقة تُنمّي قدراته تدريجيًا، مع الحفاظ على حريته في التعبير. ويُضاف إلى ذلك دور التشجيع المستمر، الذي يُعزّز ثقة الطفل بنفسه، ويُنمّي لديه الشعور بقيمة ما يُنجزه، مما يدفعه إلى المثابرة والاستمرار في تطوير إمكانياته. ومن جهة أخرى، فإن الاهتمام بالمواهب الفنية منذ الصغر يُمكن أن يُشكّل قاعدة أساسية لمسار إبداعي مستقبلي، سواء على المستوى الشخصي أو المهني. كما يُسهّم في بناء شخصية متميزة تمتلك حسًا جماليًا وذوقًا رفيعًا، وتكون أكثر قدرة على الابتكار والتعبير عن الذات. وبذلك، يُصبح الفن وسيلة تربوية فعّالة لاكتشاف الطاقات الكامنة لدى الأطفال، وتنميتها في إطار يُراعي خصوصيتهم، ويُعزّز إمكانياتهم، ويُهدّد لبناء جيل مبدع ومتوازن¹.

¹ فيكتور لونفيلد، *طفلك وفنه*، ترجمة سامي علي جمال، القاهرة، 1961، ص 175.

ومن جهة أخرى، يُعتبر الفن وسيلة فعّالة لتنمية التعلم الذاتي، حيث يُشجّع الطفل على الاستكشاف والتجريب دون الاعتماد الكامل على التوجيه المباشر. فعندما يُمنح الطفل حرية اختيار موضوع عمله الفني وأدواته، فإنه يتعلم كيفية اتخاذ القرار، ويمارس نوعاً من التعلم القائم على الخبرة الشخصية، مما يُنمّي لديه روح المبادرة والاستقلالية. وهذا النمط من التعلم يُعدّ من أهم أسس التربية الحديثة، التي تركز على جعل المتعلم محور العملية التعليمية.

كما يُسهم الفن في تعزيز القدرة على حل المشكلات، حيث يواجه الطفل أثناء ممارسته للنشاط الفني مواقف تتطلب منه التفكير والبحث عن حلول، مثل كيفية مزج الألوان أو تحقيق شكل معين، مما يُنمّي لديه المرونة الذهنية والقدرة على التكيف مع التحديات¹.

ولا يقتصر دور الفن على الجوانب المعرفية فقط، بل يمتد ليشمل الجوانب الانفعالية والاجتماعية، حيث يُسهم في تحقيق توازن شامل في نمو الطفل. فمن الناحية الانفعالية، يُساعد الفن الطفل على التعبير عن ذاته ومشاعره بطريقة حرة وتلقائية، خاصة في المواقف التي يصعب عليه فيها التعبير بالكلمات، مما يُخفّف من الضغوط النفسية ويُسهم في تحقيق الراحة والطمأنينة.

كما يُعدّ الفن وسيلة فعّالة لتفريغ الانفعالات السلبية بطريقة إيجابية، حيث يُمكن للطفل أن يُعبّر عن مشاعر القلق أو الغضب أو الخوف من خلال الرسم أو التلوين، بدلاً من كبته أو التعبير عنها بسلوكيات غير مرغوبة. وهذا ما يُعزّز توازنه النفسي ويُساعده على فهم ذاته والتعامل مع مشاعره بشكل أفضل.

أما من الناحية الاجتماعية، فإن الأنشطة الفنية الجماعية تُوفّر فرصاً مهمة للتفاعل مع الآخرين، حيث يتعلّم الطفل من خلالها مهارات التواصل والتعاون والعمل ضمن فريق. كما تُنمّي لديه روح المشاركة واحترام آراء الآخرين، وتُعزّز قدرته على تقبّل الاختلاف والتكيّف مع الجماعة².

¹ عبيد ، التربية الفنية وتنمية الإبداع، (2005) ص 80.

² المرجع نفسه ، ص 85

وبذلك، يُشكّل الفن أداة تربوية متكاملة تُسهم في تنمية الطفل على المستويين النفسي والاجتماعي، حيث يُساعده على بناء علاقات إيجابية مع الآخرين، ويُنمّي لديه مهارات حياتية أساسية، مما يجعله أكثر قدرة على الاندماج في محيطه والتفاعل معه بشكل سليم ومتوازن.

لذلك، يُنظر إلى الفن في التربية الحديثة على أنه أداة أساسية لتحقيق النمو المتكامل للطفل، حيث يُسهم في تنمية جميع جوانب شخصيته بشكل متوازن، ويُعدّه ليكون فردًا مبدعًا، مستقلًا، وقادرًا على التفاعل الإيجابي مع محيطه، وليس مجرد نشاط ثانوي أو ترفيهي داخل المنظومة التعليمية، بل عنصر جوهري لا يمكن الاستغناء عنه في بناء الإنسان منذ مراحله الأولى.

ثانياً: دور الفن في صقل حواس الطفل

يؤدي الفن دورًا بالغ الأهمية في تنمية الحواس لدى الطفل، إذ يُعدّ من الوسائل التربوية الفعّالة التي تُسهم في تطوير قدراته الحسية بشكل متكامل، من خلال التفاعل المباشر مع الألوان والأشكال والخامات المختلفة. فالحواس تُشكّل المدخل الأساسي الذي يتعرّف من خلاله الطفل على العالم، ويأتي الفن لِيُنشّط هذه الحواس ويُنمّيها بطريقة ممتعة قائمة على التجربة والاكتشاف.

وعندما ينخرط الطفل في الأنشطة الفنية، فإنه لا يكتفي بالمشاهدة فقط، بل يُمارس ويُجرب ويستكشف، مما يجعل عملية التعلم أكثر عمقًا وتأثيرًا. فالتعامل مع الألوان يُنمّي حاسة البصر، ويُدرّبه على التمييز بين الدرجات اللونية والتناسق البصري، كما أن لمس الخامات المختلفة، كالطين أو الورق أو القماش، يُنمّي حاسة اللمس ويُكسبه خبرات حسية متنوعة. أما استخدام الأدوات الفنية، فيُعزّز التآزر بين اليد والعين، ويُطوّر المهارات الحركية الدقيقة¹.

ولا يقتصر أثر الفن على تنمية الحواس بشكل منفصل، بل يُسهم في تكاملها، حيث يعمل الطفل على توظيف أكثر من حاسة في الوقت نفسه أثناء النشاط الفني، مما يُعزّز الإدراك الشامل لديه. كما

- عبيد، كلود. الفن التشكيلي نقد الإبداع وإبداع النقد. دار الفكر اللبناني، (2005) ص 52

يُساعد هذا التفاعل الحسي على ترسيخ التعلم، إذ ترتبط المعرفة بالتجربة المباشرة، مما يجعلها أكثر ثباتاً في ذهن الطفل.

وبذلك، يُصبح الفن وسيلة تربوية فعّالة لتنمية الحواس، تُسهم في بناء أساس قوي للإدراك والمعرفة، وتُعزّز قدرة الطفل على التفاعل مع محيطه بطريقة واعية ومبدعة. فالتجربة الفنية لا تقتصر على تنشيط الحواس فحسب، بل تُسهم في ربط الإحساس بالتفكير، مما يُنمّي لدى الطفل قدرة أعمق على الفهم والاستيعاب.

كما يُساعد هذا التفاعل الحسي المستمر على تطوير مهارات الطفل العقلية، كالملاحظة والانتباه والتركيز، ويُعزّز قدرته على الربط بين الأشياء وتحليلها. ومن الناحية الحركية، تُسهم الأنشطة الفنية في تحسين التناسق بين اليد والعين، وتنمية المهارات الحركية الدقيقة التي تُعدّ أساسية في مراحل التعلم الأولى.

أما على المستوى الوجداني، فإن الفن يُوفّر للطفل مجالاً للتعبير عن مشاعره بطريقة طبيعية، مما يُساعد على تحقيق التوازن النفسي وبناء الثقة بالنفس. وبذلك، ينعكس أثر الفن بشكل إيجابي على مختلف جوانب نمو الطفل، فيُسهم في تكوين شخصية متكاملة تجمع بين الإدراك الحسي، والقدرة العقلية، والاستقرار العاطفي، مما يُؤهلّه للتفاعل الإيجابي مع بيئته ومواصلة التعلم بشكل فعّال¹.

ففيما يتعلق بحاسة البصر، تُسهم الأنشطة الفنية مثل الرسم والتلوين في تدريب الطفل على التمييز بين الألوان ودرجاتها، والتعرف على الأشكال والأحجام، وفهم العلاقات بين العناصر البصرية. كما تُنمّي لديه القدرة على الملاحظة الدقيقة والانتباه للتفاصيل، وهي مهارات أساسية لا تقتصر أهميتها على المجال الفني فقط، بل تمتد لتشمل مختلف مجالات التعلم. ومن خلال تكرار هذه الممارسات، يُصبح الطفل أكثر قدرة على إدراك الفروق الدقيقة في محيطه، مما يُعزّز وعيه البصري بشكل تدريجي.

¹ السبيعي، حمود مناحي. (2011). مشكلات تدريس التربية الفنية في المرحلة المتوسطة بدولة الكويت من وجهة نظر الموجهين التربويين والمعلمين. كلية العلوم التربوية. جامعة الشرق الأوسط، ص 65

أما حاسة اللمس، فتتطور بشكل واضح من خلال الأنشطة التي تعتمد على التشكيل، مثل اللعب بالطين أو العجين أو مواد مختلفة ذات ملمس متنوع. فهذه الأنشطة تُتيح للطفل فرصة استكشاف خصائص المواد من حيث النعومة والخشونة والصلابة والمرونة، مما يُساعده على بناء خبرة حسية غنية. كما تُسهم في تنمية المهارات الحركية الدقيقة، من خلال التحكم في حركة الأصابع واليدين، وهو ما يُعدّ أساسًا مهمًا للعديد من المهارات المستقبلية، مثل الكتابة.

ولا يقتصر تأثير الفن على البصر واللمس فقط، بل يمتد ليشمل تنمية التآزر بين الحواس، حيث يتعلم الطفل التنسيق بين ما يراه وما يقوم به بيديه، وهو ما يُعرف بالتآزر البصري الحركي. وهذا النوع من التآزر يُعدّ ضروريًا في كثير من الأنشطة اليومية والتعليمية، ويُسهم في تحسين الأداء العام للطفل.¹

كما يُساعد الفن على تنمية حاسة السمع بشكل غير مباشر، خاصة في الأنشطة التي تترافق مع الموسيقى أو الإيقاع أثناء العمل الفني، مما يُعزّز الإحساس بالإيقاع والتناغم. إضافة إلى ذلك، يُسهم في تنمية الإدراك الحسي العام، حيث يُصبح الطفل أكثر وعيًا بمحيطه وأكثر قدرة على التفاعل معه. وعليه، فإن الفن يُمثّل وسيلة تربوية شاملة تُسهم في تنمية الحواس لدى الطفل بشكل متوازن، مما يُساعده على بناء إدراك سليم للعالم من حوله، ويُمهّد لتطور قدراته العقلية والحركية في المراحل اللاحقة، مما يجعله عنصرًا أساسيًا في التربية الحديثة التي تهدف إلى تنمية الإنسان من جميع جوانبه.²

إضافة إلى ذلك، يُمكن للفن أن يُسهم بشكل فعّال في تنمية حاسة السمع لدى الطفل، خاصة من خلال الأنشطة الإيقاعية والموسيقية المرتبطة بالممارسات الفنية، مثل التلوين على إيقاع موسيقي، أو دمج الرسم بالحركات التعبيرية المصحوبة بالأصوات. فهذه الأنشطة تُساعد الطفل على التمييز بين النغمات والإيقاعات المختلفة، وتُنمّي قدرته على الإصغاء والانتباه، كما تُعزّز التناسق بين الحركة

¹ - الجسار، عدلة ثاني جبر. دور المفاهيم للاتجاهات المعاصرة في التربية الفنيّة. مجلة الفنون والعلوم الإنسانية. كلية الفنون الجميلة. (يونيو، 2021). ص 63
² المرجع نفسه - ص 64

والصوت، وهو ما ينعكس إيجاباً على نموه الحركي والإدراكي. ومن خلال هذا التفاعل، يصبح الطفل أكثر حساسية للأصوات من حوله، وأكثر قدرة على الاستجابة لها بطريقة منظمة ومتوازنة.

كما تُعزز الأنشطة الفنية التكامل بين الحواس المختلفة، حيث لا تعمل كل حاسة بمعزل عن الأخرى، بل تتكامل في عملية إدراك شاملة. فعندما يرسم الطفل، فإنه يرى الألوان (حاسة البصر)، ويمسك الأدوات (حاسة اللمس)، وقد يستمع إلى توجيهات المعلم أو إلى موسيقى مرافقة (حاسة السمع)، مما يُنشئ ترابطاً بين هذه الحواس ويُسهل في تطوير ما يُعرف بالإدراك الحسي المتكامل. وهذا التكامل يُعدّ أساساً مهماً في بناء التعلم الفعّال، لأنه يُمكن الطفل من فهم المعلومات بطريقة أعمق وأكثر ثباتاً¹.

ويُسهل هذا الترابط الحسي أيضاً في تعزيز قدرة الطفل على الربط بين التجارب المختلفة، حيث يتعلم من خلال الفن كيف يُوحّد بين ما يراه وما يلمسه وما يشعر به، مما يُنمّي لديه الفهم الشامل للأشياء بدلاً من إدراكها بشكل مجزأ. وهذا النوع من التعلم يُساعد على ترسيخ المفاهيم في ذهن الطفل، ويُسهل عليه استرجاعها وتطبيقها في مواقف جديدة².

وتكتسب هذه العملية أهمية خاصة في المراحل المبكرة من التعليم، حيث يعتمد الطفل بدرجة كبيرة على الحواس في اكتساب المعرفة، نظراً لعدم اكتمال قدراته التجريدية في تلك المرحلة. فالتعلم الحسي يُعدّ المدخل الأساسي لفهم العالم، والفن يُوفّر بيئة مثالية لتحقيق هذا النوع من التعلم، لما يتسم به من طابع تفاعلي وتجريبي.

وعليه، فإن إسهام الفن في تنمية الحواس وتكاملها لا يقتصر على تحسين القدرات الإدراكية فقط، بل يُشكّل أساساً متيناً لبناء التعلم في مراحله الأولى، ويُسهل في إعداد طفل أكثر وعياً وإدراكاً لمحيطه، وقادراً على التفاعل معه بطريقة متوازنة وشاملة، مما يعزز من نموه العقلي والنفسي بشكل متكامل.

¹ محمد خليل أبو الرب، *التربية الفنية وطرق تدريسها*، ص 100

² المرجع نفسه، ص 102

ثالثاً: التوازن النفسي لدى الطفل

يُعتبر الفن وسيلة فعّالة وأساسية في تحقيق التوازن النفسي لدى الطفل، حيث يُوفّر له مجالاً آمناً وطبيعياً للتعبير عن مشاعره وانفعالاته، خاصة في المراحل العمرية التي قد يعجز فيها عن التعبير اللفظي الدقيق عمّا يشعر به. فالطفل في بدايات نمّوه لا يمتلك دائماً القدرة اللغوية الكافية لوصف حالاته النفسية، وهنا يأتي دور الفن كلغة بديلة تمكّنه من ترجمة مشاعره إلى خطوط وألوان وأشكال تحمل في طياتها معاني عميقة تعكس عالمه الداخلي.

يُعتبر الفن وسيلة فعّالة وأساسية في تحقيق التوازن النفسي لدى الطفل، حيث يُوفّر له مجالاً آمناً وطبيعياً للتعبير عن مشاعره وانفعالاته، خاصة في المراحل العمرية التي قد يعجز فيها عن التعبير اللفظي الدقيق عمّا يشعر به. فالطفل في بدايات نمّوه لا يمتلك دائماً القدرة اللغوية الكافية لوصف حالاته النفسية، وهنا يأتي دور الفن كلغة بديلة تمكّنه من ترجمة مشاعره إلى خطوط وألوان وأشكال تحمل في طياتها معاني عميقة تعكس عالمه الداخلي.

فممارسة أنشطة مثل الرسم والتلوين والتشكيل تُساعد الطفل على تفريغ طاقاته الانفعالية بطريقة صحية، حيث يُمكنه من خلالها التعبير عن مخاوفه أو توتره أو حتى فرحه ورغباته دون خوف من الحكم أو النقد. فعلى سبيل المثال، قد يُعبّر الطفل عن قلقه من خلال استخدام ألوان داكنة أو خطوط حادة، أو عن سعادته بألوان زاهية وأشكال مفتوحة، مما يُتيح للمربي أو المختص النفسي فهم حالته النفسية بشكل غير مباشر. وهذا التفريغ الانفعالي يُسهم في تقليل مستويات التوتر والقلق، ويُساعد على تحقيق نوع من الراحة النفسية والتوازن الداخلي.

كما يُسهم الفن في تعزيز الشعور بالأمان لدى الطفل، إذ يمنحه مساحة حرة للتجريب دون قيود صارمة، مما يُشعره بالقبول ويُعزز ثقته بنفسه. فحين يُنجز الطفل عملاً فنياً ويُعبّر من خلاله عن ذاته، فإنه يشعر بالإنجاز والرضا، وهو ما ينعكس إيجاباً على صورته الذاتية ويُقوّي تقديره لنفسه.¹

ولهذا السبب، يُستخدم الفن في العديد من البرامج العلاجية النفسية الموجهة للأطفال، فيما يُعرف بالعلاج بالفن، وهو أسلوب علاجي يعتمد على توظيف الأنشطة الفنية كوسيلة للتعبير والتشخيص والعلاج. ويُساعد هذا النوع من العلاج الأطفال الذين يعانون من صعوبات نفسية أو سلوكية، مثل القلق أو الخوف أو الصدمات، على التعبير عن مشاعرهم بطريقة غير مباشرة، مما يُسهّل عملية فهمهم ومساعدتهم على تجاوز مشكلاتهم.

ولا يقتصر دور الفن في الجانب العلاجي فقط، بل يمتد ليشمل الوقاية النفسية، حيث يُسهم في بناء شخصية متوازنة قادرة على التعامل مع الضغوط المختلفة. فالتعوّد على التعبير الفني منذ الصغر يُنمّي لدى الطفل مهارات التعامل مع المشاعر وتنظيمها، بدل كبثها أو التعبير عنها بطرق سلبية.

وعليه، فإن الفن يُمثّل أداة تربوية ونفسية متكاملة تُسهم في تحقيق التوازن النفسي لدى الطفل، من خلال تمكينه من التعبير عن ذاته، وتفريغ انفعالاته، وتعزيز ثقته بنفسه، مما يجعله أكثر قدرة على التكيف مع محيطه والتفاعل معه بشكل صحي وإيجابي.

كما يُسهم الفن إسهاماً واضحاً في تعزيز الثقة بالنفس لدى الطفل، حيث يشعر بقيمة إنجازاته عندما يُنمّ عملاً فنياً خاصاً به، مهما كان بسيطاً. فمجرد قدرته على تحويل فكرة داخلية إلى شكل مرئي يمنحه إحساساً بالنجاح والقدرة، ويزداد هذا الشعور عندما يجد التقدير والتشجيع من المعلم أو الأسرة. وهذا الدعم الإيجابي يُرسّخ لديه صورة ذاتية إيجابية، ويُشجّعه على المبادرة والتجربة دون خوف من الخطأ، مما يُعدّ أساساً مهماً لبناء شخصية واثقة ومتوازنة.²

¹بوزيدي، التربية الفنية وتنمية الجانب النفسي، (2024) ص 20.

²بن بادة طاهر، دور الفن في تحسين التواصل الاجتماعي للأطفال، (2025) ص 40.

إضافة إلى ذلك، يُساعد الفن على تنمية الاستقلالية واتخاذ القرار، إذ يُمنح الطفل مساحة من الحرية في اختيار الألوان والأشكال والموضوعات التي يُعبّر عنها. ومن خلال هذه الحرية، يتعلّم الطفل كيفية اتخاذ قراراته بنفسه، وتحمل نتائج اختياراته، وهو ما يُعزّز لديه الإحساس بالمسؤولية. كما تُسهم هذه التجارب في تنمية قدرته على التخطيط والتنظيم، حيث يبدأ في التفكير في كيفية تنفيذ عمله الفني وتحقيق فكرته بالشكل الذي يرضيه¹.

وعلى المستوى الاجتماعي، تُعدّ الأنشطة الفنية الجماعية مجالاً خصباً لتنمية مهارات التواصل والتفاعل مع الآخرين، إذ تُوفّر للطفل فرصاً حقيقية للانخراط في مواقف تعاونية يتعلّم من خلالها كيفية العمل ضمن فريق، وتقاسم الأدوار، واحترام آراء زملائه، وتقبّل الاختلاف بروح إيجابية. فالفن في هذا السياق لا يكون مجرد نشاط فردي، بل يتحوّل إلى تجربة اجتماعية تُنمّي لدى الطفل الإحساس بالانتماء إلى الجماعة.

كما تُساعد هذه الأنشطة على بناء علاقات إيجابية قائمة على التعاون والتفاهم، حيث يتبادل الأطفال الأفكار والخبرات، ويتعلّمون مهارات الحوار والتواصل بطريقة طبيعية وعفوية. ويُسهم هذا التفاعل في تنمية مهارات اجتماعية أساسية، مثل الإصغاء للآخر، والتعبير عن الرأي، والتفاوض، وحلّ المشكلات بشكل جماعي.

ومن جهة أخرى، تُعزّز الأنشطة الفنية الجماعية قيم التضامن والمشاركة، حيث يشعر الطفل بأنه جزء من عمل مشترك، يسهم فيه بجهده إلى جانب الآخرين لتحقيق هدف واحد. وهذا الإحساس يُنمّي لديه روح المسؤولية الجماعية، ويُعزّز ثقته بنفسه وبالآخرين.

وبذلك، يُسهم الفن التشكيلي في تحقيق اندماج الطفل داخل الجماعة بشكل سليم ومتوازن، حيث يُوفّر له فرصاً متعددة للتفاعل والتواصل في إطار من التعاون والاحترام المتبادل. فمن خلال المشاركة في

¹ محمد البسيوني، أصول التربية الفنية، ص 72

الأنشطة الفنية، يكتسب الطفل خبرات اجتماعية تُساعده على فهم ذاته وفهم الآخرين، مما يُعزّز قدرته على بناء علاقات قائمة على الثقة والتفاهم¹.

كما يُساعد الفن على تنمية مهارات التكيف الاجتماعي، إذ يتعلّم الطفل كيف يتعامل مع مواقف مختلفة، ويُطوّر قدرته على تقبّل الآراء المتنوعة، والتعبير عن رأيه بطريقة بناءة. وهذا ما يُسهم في تقليل مظاهر العزلة والانطواء، ويُعزّز روح الانفتاح والتفاعل الإيجابي مع المحيط.

ومن جهة أخرى، يُرسّخ الفن قيماً اجتماعية أساسية، مثل التعاون، والمسؤولية، والانضباط، والعمل الجماعي، وهي قيم تُعدّ ضرورية لبناء مجتمع متماسك. كما يُنمّي لدى الطفل الشعور بالانتماء، سواء داخل القسم أو المدرسة أو المجتمع ككل، مما يُعزّز استقراره النفسي والاجتماعي.

وعليه، يُشكّل الفن التشكيلي دعامة أساسية في بناء شخصية اجتماعية متوازنة، قادرة على التفاعل الإيجابي مع الآخرين، والتكيف مع مختلف الظروف، والمساهمة الفعّالة في الحياة الاجتماعية، وهو ما يُعدّ هدفاً جوهرياً من أهداف التربية الحديثة.

ولا يقتصر أثر الفن على هذه الجوانب فقط، بل يمتدّ لِيُسهم في تحقيق تكامل بين مختلف أبعاد شخصية الطفل، حيث يجمع بين تنمية الجانب الانفعالي والاجتماعي والمعرفي في آنٍ واحد. فالفن يُنمّي التفكير، ويُهدّب المشاعر، ويُعزّز التفاعل الاجتماعي، مما يجعله وسيلة تربوية شاملة تُسهم في إعداد الطفل للحياة.

وبذلك، يُمكن القول إن الفن يُعدّ أداة تربوية ونفسية فعّالة تُسهم في بناء شخصية الطفل بشكل متوازن ومتكامل، من خلال تنمية مختلف جوانب نموه، وهو ما يتماشى مع أهداف التربية الحديثة التي تسعى

¹بن بادة طاهر، المرجع السابق، ص 42

إلى تكوين فرد قادر على التفكير والإبداع، ويمتلك الثقة بالنفس، والقدرة على التفاعل الإيجابي مع محيطه الاجتماعي والثقافي.

الفصل الثاني:

طرق ووسائل محاربة العنف المدرسي
عن طريق الفن

الفصل الثاني: طرق ووسائل محاربة العنف المدرسي عن طريق الفن

يُعدّ العنف المدرسي من أبرز الظواهر السلبية التي باتت تؤرق المنظومات التربوية في العصر الحديث، لما له من انعكاسات خطيرة على البيئة التعليمية و شخصية المتعلم على حدّ سواء. فلم يعد هذا العنف يقتصر على صورته التقليدية المتمثلة في الاعتداء الجسدي بين التلاميذ، بل اتخذ أشكالاً متعددة ومتداخلة تشمل العنف اللفظي، والتنمر، والإقصاء الاجتماعي، إضافة إلى العنف الرمزي والنفسي الذي قد يكون أكثر تأثيراً وعمقاً من غيره. كما ساهمت التحولات الاجتماعية والتكنولوجية، خاصة انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، في نقل مظاهر العنف من الفضاء المدرسي المغلق إلى فضاءات افتراضية مفتوحة، مما زاد من تعقيد الظاهرة وصعوبة ضبطها أو الحدّ منها.

وتتعدد الأسباب الكامنة وراء تفشي العنف المدرسي، حيث تتداخل فيها عوامل أسرية وتربوية ونفسية واقتصادية. فالتفكك الأسري، وغياب الرقابة، وضعف التواصل داخل الأسرة، كلها عوامل قد تدفع بالمتعلم إلى تبني سلوكيات عدوانية داخل المدرسة. كما تلعب المؤسسة التربوية نفسها دوراً في ذلك، سواء من خلال ضعف التأطير البيداغوجي، أو غياب الأنشطة الموازية، أو اعتماد أساليب تربوية تقليدية قائمة على التلقين والعقاب بدل الحوار والتوجيه. ولا يمكن إغفال تأثير المحيط الاجتماعي العام، بما يحمله من مظاهر عنف في وسائل الإعلام و الاتصال و في الحياة اليومية، الأمر الذي يجعل المتعلم يعيد إنتاج هذه السلوكيات داخل الفضاء المدرسي¹.

وفي ظل تزايد حدة هذه الظاهرة وتنامي آثارها السلبية، برزت الحاجة الملحة إلى البحث عن مقاربات تربوية بديلة تتجاوز الأساليب التقليدية القائمة على الردع والعقاب، نحو أساليب أكثر إنسانية وفاعلية تركز على بناء شخصية المتعلم من الداخل. ومن بين هذه المقاربات، يبرز دور الفن في المدرسة الحديثة

¹درويش، عبد الكريم ، مدخل إلى التربية الفنية . دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2010ص 29

كأداة تربوية ذات أبعاد نفسية وتربوية متعددة، قادرة على المساهمة في الحد من العنف المدرسي بطريقة غير مباشرة ولكن عميقة التأثير. فالفن، بما يحمله من قيم جمالية وتعبيرية، يتيح للمتعلم فضاءً آمناً للتعبير عن مشاعره وأفكاره، ويساعده على تفريغ التوترات النفسية بطريقة إيجابية بدل اللجوء إلى السلوك العدواني.

ويشمل الفن المدرسي مجموعة واسعة من الأنشطة، مثل الفنون التشكيلية (الرسم، النحت، التلوين)، والمسرح، و السينما ، والموسيقى، والأنشطة الأدبية و الشعرية ، وكلها تمثل وسائل فعالة لتنمية الحس الإبداعي لدى التلميذ. ومن خلال هذه الأنشطة، يتعلم المتعلم مهارات التواصل والتعاون واحترام الآخر، كما يكتسب القدرة على التعبير عن ذاته بطريقة حضارية. فالمسرح المدرسي، على سبيل المثال، يمكن أن يعالج قضايا العنف بشكل مباشر من خلال تمثيل مواقف واقعية في الحياة اليومية للفرد، مما يساعد التلاميذ على إدراك خطورة هذه السلوكيات وآثارها. كما تساهم الفنون التشكيلية في تنمية الذوق الجمالي و الحسي لدى المتعلم، وهو ما ينعكس إيجاباً على سلوكه ويجعله أكثر ميلاً إلى الهدوء والتوازن. إضافة إلى ذلك، يلعب الفن المدرسي دوراً مهماً في تعزيز قيم التسامح والانفتاح، حيث يتيح للتلاميذ فرصة التعرف على ثقافات مختلفة والتعبير عن هوياتهم بطريقة إيجابية. كما يساهم في بناء بيئة مدرسية يسودها الاحترام والتفاهم، من خلال إشراك التلاميذ في أنشطة جماعية تعزز روح الجماعة وتقلل من النزاعات والاختلافات الشخصية . ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار الفن المدرسي وسيلة تربوية فعالة للوقاية من العنف المدرسي، وليس مجرد نشاط ترفيهي أو تكميلي¹.

وعليه، فإن إدماج الفن في العملية التعليمية بشكل منهجي ومدرّس يُعد خطوة أساسية نحو بناء مدرسة آمنة ومحفزة على التعلم، قادرة على احتواء مختلف الفروق الفردية بين التلاميذ. كما يستدعي

¹درويش، عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص 30

ذلك توفير الإمكانيات اللازمة، من تأطير متخصص وفضاءات ملائمة، إلى جانب تكوين المعلمين في كيفية توظيف الفن كوسيلة تربوية موثوقة و علاجية ووقائية. فالتربية الفنية، إذا ما أحسن استثمارها، يمكن أن تتحول إلى أداة فعالة في تهذيب السلوك الإنساني، والمساهمة في بناء جيل متوازن نفسيًا واجتماعيًا، قادر على التفاعل الإيجابي مع محيطه المدرسي والمجتمعي.

المبحث الأول: مفهوم الفن المدرسي وأشكاله

يُعدّ الفن المدرسي من أهم المداخل التربوية الحديثة التي تسعى بذلك المدرسة الحديثة إلى تحقيق تربية متكاملة للمتعلم، حيث لا يقتصر دوره على تنمية المهارات الفنية فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل الجوانب النفسية، الاجتماعية، والمعرفية و الوجدانية . فالفن داخل المؤسسة التعليمية لم يعد نشاطًا ترفيهيًا هامشيًا، بل أصبح وسيلة تربوية فعالة تُسهم في بناء شخصية المتعلم، وصقل مواهبه و قدراته التعبيرية والإبداعية، وتنمية حسّه الجمالي.

وفي ظل التحديات التي تواجه البيئة المدرسية، وعلى رأسها ظاهرة العنف المدرسي، برزت الحاجة إلى توظيف الفن كأداة تربوية علاجية ووقائية، تساعد التلاميذ على التعبير عن مشاعرهم بطريقة إيجابية، وتفرغ طاقاتهم بشكل سليم، مما يساهم في خلق مناخ مدرسي آمن ومتوازن. كما يُعزز الفن قيم التسامح، التعاون، واحترام الآخر، وهي قيم تربوية أساسية للحد من السلوكيات العدوانية¹.

ومن هذا المنطلق، يهدف هذا المبحث إلى تقديم تصور شامل حول مفهوم الفن المدرسي، من خلال تحديد تعريفه وأهم خصائصه، ثم التطرق إلى أبرز أشكاله داخل الوسط المدرسي، بما يسمح بفهم أعمق لدوره في العملية التربوية، خاصة في مجال معالجة الظواهر السلوكية السلبية لدى التلاميذ.

¹درويش، عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص 32

وسيتم تناول هذا المبحث عبر عرض مفهوم الفن المدرسي، ثم استعراض مختلف أشكاله، مع إبراز أهميته التربوية والنفسية داخل المؤسسة التعليمية.

أولاً: ماهية الفن المدرسي

يُقصد بالفن المدرسي ذلك النشاط التربوي المنظم الذي يُمارَس داخل المؤسسة التعليمية في إطار بيداغوجي هادف، ويستند إلى توظيف مختلف الوسائط الفنية من أجل تنمية الجوانب الجمالية والوجدانية والعقلية لدى المتعلم. ولا يقتصر مفهوم الفن المدرسي على مجرد ممارسة أنشطة ترفيهية عابرة، بل يتعداه ليشكل مكوناً أساسياً من مكونات العملية التعليمية، يهدف إلى بناء شخصية المتعلم بناءً متكاملًا يجمع بين المعرفة والمهارة والقيم. ومن خلال هذا النوع من الأنشطة، يتمكن المتعلم من تطوير قدراته التعبيرية والإبداعية، واكتشاف مواهبه الكامنة، وصقلها في بيئة تربوية محفزة تشجّع على الابتكار والتجريب¹.

ويتميّز الفن المدرسي بتنوع مجالاته، حيث يشمل الفنون التشكيلية كالرسم والتلوين والنحت، والفنون الأدائية كالمسرح والموسيقى، إضافة إلى الأنشطة الأدبية والإبداعية. هذا التنوع يمنح المتعلم فرصاً متعددة لاختيار المجال الذي يتناسب مع ميوله واهتماماته، مما يعزز دافعيته للتعلم ويزيد من اندماجه داخل الوسط المدرسي. كما أن ممارسة هذه الأنشطة تتيح للمتعلم التعبير عن أفكاره ومشاعره بطريقة رمزية وجمالية، الأمر الذي يساهم في تنمية خياله وقدرته على التفكير الإبداعي، ويكسبه مهارات حل المشكلات بطرق غير تقليدية.

¹ درويش، عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص 32

ولا يمكن حصر دور الفن المدرسي في الجانب الجمالي فقط، بل يمتد ليشمل أبعادًا تربوية ونفسية عميقة، إذ يُعد وسيلة فعّالة في تحقيق التوازن النفسي لدى المتعلم. فالفن يتيح له متنفسًا للتعبير عن انفعالاته المكبوتة، ويساعده على تفريغ الضغوط النفسية بطريقة إيجابية، مما يقلل من احتمالية لجوئه إلى السلوك العدواني أو العنف داخل الوسط المدرسي. كما يساهم في تعزيز الثقة بالنفس، خاصة عندما يتمكن المتعلم من إنجاز أعمال فنية يفتخر بها، ويحظى من خلالها بالتقدير والاعتراف من قبل زملائه ومعلميه.

ومن زاوية أخرى، يُنظر إلى الفن المدرسي باعتباره لغة بديلة للتواصل، تتجاوز حدود التعبير اللفظي التقليدي، خاصة بالنسبة للمتعلمين الذين يعانون من صعوبات في التعبير الشفهي أو يعجزون عن الإفصاح عن مشاعرهم بالكلمات. ففي مثل هذه الحالات، يصبح الرسم أو التمثيل أو الموسيقى وسيلة فعّالة للتعبير عن الذات، وفهم العالم الداخلي للمتعلم، مما يتيح للمربين فرصة أفضل للتفاعل معه وتوجيهه. كما أن هذه اللغة الفنية تساهم في تعزيز التواصل غير اللفظي بين التلاميذ، وتدعم بناء علاقات إيجابية قائمة على التفاهم والاحترام المتبادل.

إضافة إلى ذلك، يلعب الفن المدرسي دورًا مهمًا في ترسيخ القيم الاجتماعية والإنسانية، مثل التعاون والتسامح واحترام الآخر، حيث غالبًا ما تُمارس الأنشطة الفنية في إطار جماعي يتطلب التنسيق والعمل المشترك. ومن خلال هذا التفاعل، يتعلم المتعلم كيفية تقبّل الاختلاف، والتعبير عن رأيه دون إقصاء، واحترام آراء الآخرين، وهو ما ينعكس إيجابًا على سلوكه داخل المؤسسة التعليمية وخارجها.

وعليه، يمكن القول إن الفن المدرسي يشكل أداة تربوية متكاملة تجمع بين المتعة والفائدة، وتساهم في إعداد متعلم متوازن نفسيًا واجتماعيًا، قادر على التعبير عن ذاته بطرق حضارية، والتفاعل الإيجابي مع

محيطه. ومن هذا المنطلق، فإن تعزيز مكانة الفن داخل المدرسة، وتوفير الإمكانيات اللازمة لممارسته، يُعد ضرورة ملحة في ظل التحديات التربوية المعاصرة، وعلى رأسها ظاهرة العنف المدرسي¹.

ثانيًا: أنواع الفن المدرسي و مظاهره

يتخذ الفن المدرسي عدة أشكال متنوعة ومتكاملة، تعكس في مجملها ثراء هذا المجال التربوي وقدرته على الاستجابة لاحتياجات المتعلمين المختلفة، سواء على المستوى النفسي أو الاجتماعي أو المعرفي. وتكمن أهمية هذا التنوع في كونه يتيح لكل متعلم فرصة التعبير عن ذاته بالطريقة التي تناسب مع ميوله وقدراته، مما يعزز شعوره بالانتماء داخل المؤسسة التعليمية، ويقلل من حالات الإحباط أو التهميش التي قد تكون سببًا في بروز سلوكيات عدوانية².

فالفنون التشكيلية، على غرار الرسم والتلوين والنحت والأشغال اليدوية، تُعد من أبرز الأشكال التي تسمح للتلميذ بالتعبير غير اللفظي عن مشاعره وأفكاره، خاصة في المراحل العمرية التي يصعب فيها التعبير بالكلام. وتُسهم هذه الأنشطة في تنمية الخيال والإبداع، كما تساعد على تهدئة التوترات النفسية وتفرغ الشحنات الانفعالية بشكل إيجابي. كما أن الاشتغال على الأعمال الفنية يتطلب التركيز والصبر، وهما عنصران يُسهمان في تهذيب السلوك وتقوية القدرة على ضبط النفس.

أما الفنون الأدائية و الحركية ، مثل المسرح المدرسي والتمثيل، فتلعب دورًا مهمًا في تنمية مهارات التواصل والتفاعل الاجتماعي لدى التلاميذ، حيث تُتيح لهم فرصة تقمص الأدوار وفهم مشاعر الآخرين، مما يُعزز قيم التعاطف والتسامح. كما يُساعد المسرح على معالجة بعض السلوكيات السلبية

¹ عبد السلام، مصطفى. *أسس التربية الفنية*. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2008 ص 40

² عبد السلام مصطفى. *أسس التربية الفنية*. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2008 ص 41

من خلال عرضها في قالب فني يتيح مناقشتها بشكل غير مباشر، وهو ما يجعله وسيلة تربوية فعالة في التوعية والوقاية من العنف.

إلى جانب ذلك، تُساهم الأنشطة الموسيقية والغنائية في تنمية الحس السمعي والإيقاعي، وتُوفر للتلاميذ متنفسًا للتعبير عن مشاعرهم بطريقة جماعية تُعزز روح التعاون والانضباط. كما أن المشاركة في فرق موسيقية أو أناشيد مدرسية تُنمي الإحساس بالمسؤولية والانتماء، وتُقلل من النزعات الفردية التي قد تؤدي إلى سلوكيات عدوانية.

ولا يمكن إغفال دور الفنون الحركية، كالرسم الجسدي أو التعبير الحركي، في تفريغ الطاقة الجسدية والانفعالية لدى التلاميذ، خاصة أولئك الذين يعانون من فرط الحركة أو صعوبات في التركيز. فهذه الأنشطة تُساعد على تحقيق الانسجام و التوازن بين الجسد والعقل، وتُعزز الإحساس بالراحة النفسية. وعليه، فإن هذا التنوع في أشكال الفن المدرسي يُمثل عنصر قوة حقيقية، يُمكن المؤسسة التربوية من احتواء مختلف الفروق الفردية بين التلاميذ، ويُوفر لكل منهم المجال المناسب للتعبير عن ذاته، مما يُساهم في خلق بيئة تعليمية شاملة وآمنة، تُعزز القيم الإيجابية وتُحدّ من مظاهر العنف والسلوكيات السلبية.

أهم معالم الفنون المدرسية ودورها التربوي

أ- الفنون التشكيلية:

تُعدّ الفنون التشكيلية من أكثر أشكال الفن المدرسي حضورًا وانتشارًا داخل البيئة التعليمية، لما تتميز به من سهولة في الممارسة وتنوع في الوسائط والخامات، مما يجعلها في متناول مختلف الفئات العمرية والمستويات الدراسية. وتشمل هذه الفنون مجالات متعددة كالرسم، والتلوين، والنحت،

والأشغال اليدوية، وهي جميعها تتيح للمتعلم فضاءً تربويًا مفتوحًا يمكنه من التعبير الحر عن أفكاره ومشاعره، بعيدًا عن القيود التقليدية للتعليم القائم على التلقين.

ولا يقتصر دور الفنون التشكيلية على تنمية الحس الجمالي لدى المتعلم فحسب، بل يتعداه ليشمل تطوير مجموعة من المهارات الأساسية، لعلّ من أبرزها المهارات الحركية الدقيقة، التي تتجلى في التحكم في الأدوات، والتنسيق بين اليد والعين، والدقة في الأداء. كما تُسهم هذه الأنشطة في تعزيز القدرة على التركيز والانتباه، وتنمية مهارات الملاحظة والتحليل، حيث يتعلم التلميذ من خلالها إدراك التفاصيل الدقيقة، والتفاعل مع الأشكال والألوان والفراغات بشكل واعٍ ومنظم¹.

ومن الناحية النفسية، تُعدّ الفنون التشكيلية وسيلة فعّالة للتفريغ الانفعالي، إذ يجد المتعلم في العمل الفني متنفسًا آمنًا يمكنه من التعبير عن توتراته الداخلية ومشاعره المكبوتة بطريقة غير مباشرة، دون الحاجة إلى التعبير اللفظي الذي قد يعجز عنه في بعض الأحيان. وهذا ما يجعلها أداة تربوية علاجية تُسهم في التخفيف من الضغوط النفسية، وتقليل مستويات القلق والتوتر، خاصة لدى التلاميذ الذين يعانون من صعوبات في التواصل أو اضطرابات سلوكية.

كما تُعزز الفنون التشكيلية الثقة بالنفس لدى المتعلم، من خلال منحه الفرصة لإنتاج عمل فني خاص به، يشعر من خلاله بالإحجاز والاعتراف بقدراته، خاصة عندما يتم عرض أعماله داخل القسم أو في معارض مدرسية. ويسهم ذلك في بناء صورة إيجابية عن الذات، والحدّ من مشاعر الإقصاء أو التهميش التي قد تكون من العوامل المؤدية إلى السلوك العدواني.

إضافة إلى ذلك، يمكن توظيف الفنون التشكيلية في إطار العمل الجماعي، من خلال إنجاز لوحات مشتركة أو مشاريع فنية جماعية، وهو ما يُنمّي روح التعاون والتفاعل الإيجابي بين التلاميذ، ويُعزز قيم

¹ عبد السلام مصطفى، أسس التربية الفنية. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، (2008) ص 40

الحوار واحترام آراء الآخرين. كما يُتيح هذا النمط من العمل فرصة لتعلم مهارات حل المشكلات واتخاذ القرار بشكل جماعي¹.

وعليه، فإن الفنون التشكيلية لا تُعدّ مجرد نشاط تعليمي ثانوي، بل هي وسيلة تربوية متكاملة تُسهم في بناء شخصية المتعلم من مختلف الجوانب، وتلعب دورًا فعالًا في الحد من السلوكيات السلبية، وعلى رأسها العنف المدرسي، من خلال توفير بدائل إيجابية للتعبير، وتعزيز التوازن النفسي والاجتماعي داخل البيئة التعليمية.

ب- الفنون المسرحية:

يُعتبر المسرح المدرسي من أبرز الوسائل التربوية التي تجمع بين الترفيه والتعليم، حيث يُمثل فضاءً تربويًا تفاعليًا يُتيح للمتعلمين فرصة الانخراط في تجارب تمثيلية تحاكي مواقف حياتية واقعية أو خيالية. ومن خلال هذا الانخراط، لا يكتفي المتعلم بدور المتلقي، بل يتحول إلى عنصر فاعل في بناء المعرفة، عبر الأداء، والتجريب، والتفاعل مع النصوص والشخصيات، مما يُعزز التعلم النشط ويُكسب العملية التعليمية طابعًا حيويًا.

ومن الناحية المهارية، يُسهم المسرح المدرسي في تنمية مجموعة من الكفاءات الأساسية لدى المتعلم، من بينها مهارات الإلقاء والتعبير الشفهي، حيث يتعلم كيفية استخدام صوته بشكل سليم، وضبط نبراته، والتواصل مع الجمهور بثقة. كما يُنمّي القدرة على التعبير الجسدي من خلال الحركات والإيماءات، وهو ما يُعزز الوعي بالجسد ودوره في التواصل. وإلى جانب ذلك، يُسهم المسرح في بناء الثقة بالنفس، إذ

¹ عبد السلام، مصطفى. أسس التربية الفنية. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2008 ص 43

يُساعد التلميذ على تجاوز الخجل والانطواء، ويُشجعه على الظهور أمام الآخرين والتعبير عن ذاته بحرية¹.

كما يُعدّ المسرح بيئة مثالية لترسيخ قيم العمل الجماعي، حيث يتطلب إنجاز العرض المسرحي تنسيقًا وتعاونًا بين مختلف المشاركين، من ممثلين ومخرجين وتقنيين، مما يُنمي روح الفريق ويُعزز مهارات التواصل والتفاعل الإيجابي. ويتعلم المتعلم من خلال هذه التجربة احترام الأدوار، والانضباط، وتحمل المسؤولية، وهي كلها قيم تُسهم في بناء شخصية متوازنة.

وعلى المستوى التربوي والسلوكي، يُمثل المسرح المدرسي أداة فعّالة في معالجة العديد من المظاهر و الظواهر السلبية، وعلى رأسها العنف المدرسي. فمن خلال تقديم مشاهد تمثيلية تُجسّد مواقف عنف أو نزاع، يتمكن التلاميذ من ملاحظة انعكاسات هذه السلوكيات بشكل ملموس، مما يُسهم في تنمية وعيهم بخطورتها على الفرد والمجتمع. كما يُتيح المسرح إمكانية اقتراح بدائل سلوكية إيجابية ضمن سياق درامي، كالحوار، والتسامح، واحترام الآخر، وهو ما يُعزز تبني هذه القيم في الواقع المدرسي.

إضافة إلى ذلك، يُمكن توظيف المسرح كوسيلة علاجية في إطار ما يُعرف بالعلاج بالدراما (Psychodrama)، حيث يُساعد التلميذ على التعبير عن مشاعره الداخلية والتعامل مع صراعاته النفسية من خلال تمثّل الأدوار، مما يُخفف من حدة التوتر والانفعالات السلبية. كما يُوفر هذا النوع من الأنشطة فرصة للمربين والمختصين لملاحظة سلوكيات التلاميذ في سياق غير تقليدي، مما يُسهم في فهم أفضل لاحتياجاتهم النفسية².

¹ عبد السلام مصطفى ، مرجع سابق ، ص 45

² درويش، عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص 35

وعليه، فإن المسرح المدرسي يُمثل أداة تربوية متكاملة تجمع بين البعد التعليمي والتكويني والعلاجي، وتُسهم بشكل فعال في تنمية شخصية المتعلم، وتعزيز القيم الإيجابية، والحد من السلوكيات السلبية داخل الوسط المدرسي، مما يجعله عنصرًا أساسيًا في أي مشروع تربوي يهدف إلى بناء مدرسة آمنة ومبدعة.

ج-الفنون الموسيقية:

تلعب الفنون الموسيقية دورًا محوريًا في بناء شخصية المتعلم، لما لها من أثر بالغ في تهذيب الذوق العام وتنمية الحس السمعي والإدراك الجمالي. فهي لا تُعدّ مجرد نشاط ترفيهي داخل المؤسسة التعليمية، بل تُشكل وسيلة تربوية فعّالة تُسهم في تحقيق التوازن النفسي والانفعالي لدى التلاميذ، خاصة في ظل الضغوط التي قد يواجهونها في محيطهم الدراسي أو الاجتماعي¹.

فالموسيقى تمتلك قدرة فريدة على التأثير في المشاعر والانفعالات، حيث تُساعد الألحان والإيقاعات على تهدئة النفس، والتقليل من مستويات التوتر والقلق، مما يُوفر للمتعم حالة من الاستقرار النفسي التي تنعكس إيجابًا على سلوكه داخل القسم. كما تُتيح له فرصة التعبير عن مشاعره بطريقة غير لفظية، سواء من خلال العزف أو الغناء، وهو ما يُعدّ متنفسًا صحيًا للتفريغ الانفعالي.

ومن الناحية المهارية، يُسهم تعلم الموسيقى في تنمية مجموعة من القدرات الأساسية، مثل التركيز والانتباه، والدقة في الأداء، والالتزام بالإيقاع، وهي كلها مهارات ترتبط بالانضباط الذاتي. كما يتعلم المتعلم من خلال الأنشطة الموسيقية أهمية الإصغاء الجيد، سواء للمعلم أو لبقية أفراد المجموعة، مما يُعزز مهارات التواصل والتفاعل الإيجابي.

¹ عبد السلام مصطفى ، مرجع سابق ، ص 48

وتبرز أهمية الفنون الموسيقية بشكل خاص في الأنشطة الجماعية، كالأناشيد المدرسية أو الفرق الموسيقية، حيث يتعلم التلاميذ العمل ضمن فريق، والتنسيق بين أدوارهم المختلفة لتحقيق انسجام جماعي. وهذا النوع من التفاعل يُنمّي روح التعاون والانتماء، ويُقلل من النزعات الفردية والسلوكيات العدوانية.

كما تُسهم الموسيقى في ترسيخ القيم الإيجابية، من خلال اختيار مضامين تربوية هادفة للأناشيد، تعزز قيم التسامح، والاحترام، والتعايش السلمي. ويمكن توظيفها كذلك في معالجة بعض الظواهر السلبية، كالعنف المدرسي، عبر تقديم أعمال فنية تُبرز آثار هذه السلوكيات وتدعو إلى نبذها بأسلوب فني مؤثر¹.

وعليه، فإن الفنون الموسيقية تُعدّ ركيزة أساسية في الفن المدرسي، لما تُقدّمه من إسهامات تربوية ونفسية وسلوكية، تُسهم في خلق بيئة تعليمية أكثر توازنًا وهدوءًا، وتُعزز مناخًا مدرسيًا قائمًا على التفاهم والاحترام، مما ينعكس إيجابًا على سلوك التلاميذ ويُحدّ من مظاهر العنف داخل المؤسسة التربوية.

د-الفنون الحركية:

تشمل الفنون الحركية مختلف الأنشطة التي تعتمد على التعبير بالجسد، مثل الرقص التعبيري، والعروض الحركية، والأنشطة البدنية ذات الطابع الفني، وهي تُعدّ من الأشكال التربوية التي تجمع بين البعد

¹ زيتون، حسن حسين ، مرجع سابق ، ص 80

الجسدي والنفسي في آنٍ واحد. وتكتسي هذه الفنون أهمية خاصة داخل الوسط المدرسي، نظرًا لقدرتها على استيعاب طاقات المتعلمين وتوجيهها في مسارات إيجابية وبناءة¹.

فمن خلال هذه الأنشطة، يجد المتعلم فرصة لتفريغ الطاقة الزائدة بطريقة منظمة ومؤطرة، مما يُقلل من احتمالية تحويلها إلى سلوكيات سلبية أو عدوانية. وتُسهم الحركات الإيقاعية والتعبيرية في تحقيق نوع من التوازن النفسي، حيث تساعد على التخلص من التوتر والضغط النفسية، وتُعزز الشعور بالراحة والاستقرار الداخلي.

كما تُساهم الفنون الحركية في تنمية مجموعة من المهارات الأساسية، من بينها التناسق الحركي، والمرونة، والتوازن، إضافة إلى تحسين اللياقة البدنية بشكل عام. ويتعلم المتعلم من خلالها التحكم في جسده، وضبط حركاته، والتفاعل مع الإيقاع أو مع باقي أفراد المجموعة، وهو ما يُعزز الوعي الجسدي والانضباط الذاتي.

وعلى المستوى الاجتماعي، تُوفر هذه الأنشطة بيئة تفاعلية قائمة على العمل الجماعي، حيث يتطلب الأداء الحركي المنسق تعاونًا بين المشاركين، واحترامًا متبادلًا للأدوار، والتزامًا بالقواعد المنظمة. وهذا من شأنه أن يُعزز لدى المتعلم قيم التعاون، والتسامح، وروح الفريق، ويُعزز العلاقات الإيجابية داخل الجماعة المدرسية.

¹زيتون، حسن حسين. *التعلم والتعليم من منظور النظرية البنائية*. عالم الكتب، القاهرة، (2003) ص

كما يمكن توظيف الفنون الحركية في معالجة بعض السلوكيات الصعبة، خاصة لدى التلاميذ الذين يعانون من فرط الحركة أو صعوبات في التعبير اللفظي، إذ تُتيح لهم هذه الأنشطة وسيلة بديلة للتعبير عن ذواتهم والتفاعل مع محيطهم بشكل صحي ومتوازن¹.

وعليه، فإن الفنون الحركية تُعدّ عنصراً مكملاً لباقي أشكال الفن المدرسي، تُسهم في تحقيق التوازن بين الجوانب العقلية والنفسية والجسدية للمتعلم، وتلعب دوراً فعالاً في الحد من السلوكيات السلبية، وعلى رأسها العنف المدرسي، من خلال توجيه الطاقات وتنمية القيم الإيجابية داخل البيئة التعليمية.

وتكمن أهمية هذه الأشكال الفنية مجتمعة في قدرتها على استيعاب الفروق الفردية بين التلاميذ ومعالجتها، حيث توفر لكل متعلم المجال الذي يناسب اهتماماته وقدراته، مما يساهم في تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص داخل المؤسسة التعليمية. كما تُسهم في خلق بيئة تعليمية تفاعلية قائمة على الحوار والتعبير والإبداع، بدلاً من القمع والتلقين، وهو ما يؤدي إلى تقليص مظاهر العنف وتعزيز مناخ مدرسي يسوده الأمن النفسي والتفاهم. ومن هذا المنطلق، فإن تفعيل هذه الأنشطة بشكل منهجي ومدرّس يُعد خطوة أساسية نحو بناء مدرسة حديثة قادرة على مواجهة التحديات السلوكية والتربوية المعاصرة.

أشكال العنف المدرسي

يُعد العنف المدرسي من الظواهر السلوكية التي تؤثر سلباً في العملية التعليمية وفي العلاقات داخل الوسط المدرسي، ويتخذ عدة أشكال، من أهمها:

1. العنف الجسدي

هو استخدام القوة البدنية لإلحاق الأذى بالآخرين، ومن مظاهره:

¹زيتون، حسن حسين، *التعلم والتعليم من منظور النظرية البنائية*. عالم الكتب، القاهرة، (2003) ص

- الضرب والركل والدفع .
- الشجار بين التلاميذ .
- إتلاف ممتلكات الآخرين .
- استخدام أدوات حادة أو خطيرة للاعتداء .

2. العنف اللفظي

يتمثل في الإساءة بالكلام أو الألفاظ الجارحة، مثل:

- السب والشتيم .
- السخرية والاستهزاء .
- إطلاق الألقاب المهينة .
- التهديد والتخويف¹ .

3. العنف النفسي أو المعنوي

يستهدف مشاعر الفرد وحالته النفسية، ومن صورته:

- التنمر والإقصاء الاجتماعي .
- نشر الشائعات .
- الترهيب والتخويف .

¹حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، 2005. ص 59

- التحقير والتقليل من قيمة الآخرين .

4. العنف الرمزي

يظهر من خلال ممارسات أو إشارات تحمل معاني الإهانة أو التمييز، مثل:

- التمييز بين التلاميذ .
- النظرات أو الإشارات المهينة .
- فرض السلطة بشكل تعسفي .

5. العنف الإلكتروني

يتم عبر الوسائل الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي، ومن أمثلته:

- نشر صور أو معلومات مسيئة .
- إرسال رسائل تهديد أو إهانة .
- التنمر الإلكتروني .
- انتحال الهوية للإساءة للآخرين¹ .

6. العنف ضد الممتلكات المدرسية

يشمل كل السلوكيات التي تستهدف التجهيزات والمرافق المدرسية، مثل:

¹حامد عبد السلام زهران، المرجع السابق، ص 61

- تخريب الطاولات والكراسي .
- الكتابة على الجدران .
- إتلاف الوسائل التعليمية .
- تكسير النوافذ والمعدات .

7. العنف الموجه نحو الذات

قد يظهر لدى بعض التلاميذ نتيجة الضغوط النفسية، ويتجسد في:

- إيذاء النفس .
- السلوكيات الخطرة .
- الانسحاب الشديد من الأنشطة المدرسية .

المبحث الثاني: مساهمة الفنون التشكيلية و دورها في محاربة العنف المدرسي

تُعدّ الفنون التشكيلية من أهم الوسائل التربوية التي يمكن توظيفها للحد من ظاهرة العنف المدرسي، لما لها من تأثير مباشر وعميق على الجوانب النفسية والسلوكية للمتعلمين. فهي لا تمثل مجرد نشاط فني أو ترفيهي، بل تُعد أداة علاجية وتربوية فعّالة تساهم في بناء شخصية متوازنة، قادرة على التفاعل الإيجابي مع محيطها المدرسي والاجتماعي. ومن خلال ما توفره من فضاء حر وآمن للتعبير، تُمكن المتعلم من ترجمة مشاعره وأفكاره إلى أشكال بصرية، الأمر الذي يساعده على تفريغ التوترات والانفعالات السلبية التي قد تكون سبباً في ظهور سلوكيات عدوانية¹.

¹ بهد الستار إبراهيم، العلاج النفسي السلوكي المعرفي المعاصر، عالم المعرفة، الكويت، 2000. ص 89

وتكمن أهمية الفنون التشكيلية في قدرتها على الوصول إلى أعماق نفسية المتعلم، خاصة في المراحل العمرية التي يصعب فيها التعبير اللفظي عن المشاعر. فالتلميذ الذي يعجز عن التعبير بالكلمات، يجد في الرسم أو التلوين وسيلة بديلة للتواصل، يكشف من خلالها عن مخاوفه أو غضبه أو قلقه، مما يتيح للمربي فرصة فهم حالته النفسية والتدخل التربوي المناسب. وبذلك، تصبح الفنون التشكيلية أداة تشخيصية تساعد على الكشف المبكر عن الاضطرابات السلوكية والانفعالية، قبل أن تتفاقم وتتحول إلى مظاهر عنف داخل المؤسسة التعليمية¹.

كما تسهم هذه الفنون في تنمية مهارات التحكم في الانفعالات، حيث يتعلم المتعلم من خلال الممارسة الفنية الصبر والتركيز والدقة، وهي مهارات أساسية تساعد على ضبط سلوكياته والتقليل من اندفاعيته. فعملية إنجاز عمل فني تتطلب وقتًا وجهدًا وتنظيمًا، مما يُكسب المتعلم القدرة على تأجيل الإشباع والتحكم في رغباته، وهي من العوامل التي تحدّ من السلوك العدواني. إضافة إلى ذلك، فإن الانخراط في الأنشطة التشكيلية يمنح المتعلم شعورًا بالإنجاز والاعتزاز بالذات، خاصة عندما يتم عرض أعماله أو تجميعها، وهو ما يعزز ثقته بنفسه ويقلل من حاجته إلى إثبات ذاته من خلال العنف.

ومن جهة أخرى، تلعب الفنون التشكيلية دورًا مهمًا في تعزيز القيم الاجتماعية داخل الوسط المدرسي، حيث غالبًا ما تُمارس في إطار جماعي يتطلب التعاون وتبادل الأدوات والأفكار. ومن خلال هذا التفاعل، يتعلم التلاميذ احترام آراء الآخرين، وتقبل الاختلاف، والعمل بروح الفريق، وهي قيم أساسية تساهم في بناء علاقات إيجابية وتحدّ من النزاعات. كما يمكن توظيف هذه الفنون في إنجاز مشاريع جماعية، مثل الجداريات المدرسية أو المعارض الفنية، التي تعزز الإحساس بالانتماء إلى المدرسة وتخلق بيئة جمالية تقلّ فيها مظاهر التوتر والعنف.

¹حمودي، أحمد. *التربية الجمالية ودورها في تنمية السلوك الإيجابي لدى المتعلمين*. مجلة الدراسات التربوية، (2020) العدد 7، ص 70

إضافة إلى ذلك، تساهم الفنون التشكيلية في تنمية الحس الجمالي لدى المتعلم، وهو ما ينعكس بشكل مباشر على سلوكه، إذ يميل الفرد الذي يمتلك ذوقاً فنياً إلى تقدير الجمال والنظام والهدوء، والابتعاد عن السلوكيات العدوانية التي تتنافى مع هذه القيم. كما أن إدماج الجمال في الفضاء المدرسي، من خلال تزيين الجدران بأعمال فنية من إنجاز التلاميذ، يخلق بيئة محفزة ومريحة نفسياً، تساعد على تحسين المناخ التربوي العام.

وعليه، يمكن القول إن الفنون التشكيلية تمثل مدخلاً تربوياً فعالاً للوقاية من العنف المدرسي وعلاجه، لما توفره من إمكانيات للتعبير، والتفريغ الانفعالي، وتنمية المهارات النفسية والاجتماعية. ومن هذا المنطلق، فإن تعزيز حضورها داخل المؤسسات التعليمية، وتوفير الوسائل والظروف المناسبة لممارستها، يُعد ضرورة تربوية ملحة في سبيل بناء مدرسة آمنة، قائمة على الإبداع والتسامح والتوازن النفسي.

أولاً: التفريغ الانفعالي وتقليل التوتر

توفر الفنون التشكيلية مساحة آمنة ومرنة للتلميذ للتعبير عن مشاعره المكبوتة، كالغضب أو القلق أو الإحباط، من خلال وسائط بصرية مثل الرسم والتلوين والتشكيل، بدل اللجوء إلى السلوك العدواني أو الانفعالات السلبية غير المضبوطة. فحين يُمنح المتعلم فرصة التعبير الحر داخل إطار تربوي داعم، فإنه يجد في النشاط الفني متنفساً نفسياً يُخفّف من حدة التوتر الداخلي، ويُسهّم في تفريغ الشحنات الانفعالية بطريقة بناءة. وهذا ما يجعل الفنون التشكيلية تلعب دوراً شبيهاً بالعلاج النفسي غير المباشر، حيث تُتيح للمتعلّم التعبير عمّا يعجز عن قوله بالكلمات¹.

¹ عبد الله، محمد جبر السيد. *العوامل المرتبطة بالعنف عند طلاب التعليم الثانوي الفني وطرق مواجهته*. مجلة التربية البدنية وعلوم الرياضة، العدد 4، (2017) ص 290

إن التلميذ الذي يُعبّر عن مشاعره من خلال الرسم، لا يكتفي فقط بتفريغ انفعالاته، بل يبدأ تدريجيًا في فهمها وتنظيمها، مما يعزز لديه القدرة على الوعي الذاتي والانضباط الانفعالي. فعملية تحويل المشاعر إلى رموز وأشكال وألوان تتطلب نوعًا من التأمل الداخلي، وهو ما يساعد المتعلم على تهدئة نفسه والتفكير في بدائل سلوكية أكثر إيجابية. وبالتالي، يصبح أقل عرضة للاندفاع أو التصرف بعنف، وأكثر قدرة على التحكم في ردود أفعاله داخل المواقف اليومية.

كما أن الانخراط في الأنشطة التشكيلية يمنح التلميذ إحساسًا بالأمان النفسي، خاصة عندما يتم في بيئة خالية من التهديد أو التقييم السلبي، حيث يشعر بأنه مقبول ومُقدّر مهما كانت طبيعة تعبيره الفني. وهذا الشعور يعزز ثقته بنفسه ويقلل من مشاعر الإحباط أو النقص التي قد تدفعه إلى السلوك العدواني. إضافة إلى ذلك، فإن تكرار هذه الممارسات الفنية يُكسب المتعلم مهارات تدريجية في التحكم في الانفعالات، مثل الصبر والتركيز والتأني، وهي مهارات أساسية في بناء سلوك متزن.

ومن جهة أخرى، يمكن للمعلم من خلال متابعة الرسومات والأعمال الفنية أن يستشف بعض المؤشرات النفسية لدى التلاميذ، مثل القلق أو العدوانية أو الانطواء، مما يُمكنه من التدخل التربوي المناسب في الوقت المناسب. وبذلك، لا تقتصر الفنون التشكيلية على كونها وسيلة تعبير، بل تتحول إلى أداة تشخيصية وعلاجية تُساهم في الوقاية من السلوكيات العنيفة قبل تفاقمها.

وعليه، فإن اعتماد الفنون التشكيلية كجزء أساسي من الأنشطة المدرسية يُعد خطوة فعالة نحو بناء بيئة تعليمية أكثر هدوءًا وتوازنًا، حيث يتم استبدال التعبير العدواني بالتعبير الإبداعي، ويُمنح المتعلم فرصة حقيقية لفهم ذاته والتفاعل الإيجابي مع محيطه¹.

ثانيًا: تنمية مهارات التواصل

¹ عبد الله، محمد جبر السيد ، مرجع سابق ، ص 299

تُسهّم الأنشطة الفنية إسهامًا فعّالًا في تعزيز التواصل بين التلاميذ داخل الوسط المدرسي، إذ تُمارَس غالبًا في إطار جماعي يفرض نوعًا من التفاعل المستمر والتنسيق المشترك بينهم. ففي سياق إنجاز عمل فني جماعي، سواء كان لوحة تشكيلية أو عرضًا مسرحيًا أو نشاطًا موسيقيًا، يجد التلاميذ أنفسهم أمام ضرورة تبادل الأفكار وتقاسم الأدوار، وهو ما يُنمّي لديهم مهارات الحوار والاستماع واحترام وجهات النظر المختلفة. هذا التفاعل الإيجابي يُسهّم في بناء جسور من الثقة والتفاهم بينهم، ويُقلّل من حالات العزلة والانغلاق التي قد تكون من بين أسباب النزاعات داخل القسم.

كما أن العمل الجماعي في الأنشطة الفنية يُعلّم التلاميذ قيمة التعاون، حيث يدرك كل فرد أن نجاح العمل مرتبط بمدى انسجام المجموعة ككل، وليس بجهد فردي معزول. ومن خلال هذا الإدراك، يتعلمون كيفية التنازل أحيانًا، وتقبّل النقد، والتكيف مع آراء الآخرين، وهي مهارات اجتماعية أساسية تساهم في الحد من السلوكيات العدوانية. فبدل أن تتحول الاختلافات إلى صراعات، تصبح فرصة للتكامل والإبداع، حيث يُثري تنوع الآراء العمل الفني ويمنحه طابعًا أكثر غنى وعمقًا.

إضافة إلى ذلك، توفر الأنشطة الفنية بيئة تواصل غير تقليدية، تتجاوز اللغة اللفظية، وتُتيح للتلاميذ التعبير عن أنفسهم بطرق متعددة، سواء من خلال اللون أو الحركة أو الصوت. وهذا النوع من التواصل يُعد مهمًا خاصة بالنسبة للمتعلمين الذين يواجهون صعوبات في التعبير الشفهي، حيث يجدون في الفن وسيلة بديلة للاندماج والتفاعل مع أقرانهم. ومع تكرار هذه التجارب، يزداد شعورهم بالانتماء إلى الجماعة، مما يُقلّل من مشاعر الإقصاء أو التهميش التي قد تدفع إلى السلوك العدواني¹.

ومن جهة أخرى، تُسهّم هذه الأنشطة في خلق مناخ صفّي إيجابي قائم على الاحترام المتبادل والتقدير، حيث يتعلم التلاميذ الاحتفاء بإنجازات بعضهم البعض، وتقديم الدعم والتشجيع بدل السخرية أو

¹ عبد الله، محمد جبر السيد ، مرجع سابق ، ص 300

الانتقاد السليبي. كما تُعزّز روح الفريق والانضباط الجماعي، إذ يتطلب العمل الفني المشترك الالتزام بالقواعد واحترام الوقت وتوزيع المهام بشكل منظم. كل هذه العوامل تُساهم في تقليص حدة التوتر داخل القسم، وتحدّ من مظاهر النزاع والصراع بين التلاميذ.

وعليه، يمكن القول إن الأنشطة الفنية لا تقتصر على تنمية الجانب الإبداعي لدى المتعلم فقط، بل تمتد لتؤدي دورًا محوريًا في بناء علاقات اجتماعية صحية داخل البيئة المدرسية، قائمة على التعاون والتواصل الفعّال، وهو ما يُعد من أهم الأسس للوقاية من العنف المدرسي وتعزيز مناخ تربوي سليم. داخل المؤسسة التربوية وكذا داخل المجتمع.

ثالثًا: تعزيز الثقة بالنفس

عندما يُنتج التلميذ عملاً فنيًا ويُقابل هذا الإنتاج بالتقدير والاعتراف من طرف المعلم أو الزملاء، فإن ذلك يُحدث أثرًا نفسيًا عميقًا في شخصيته، يتمثل أساسًا في تعزيز ثقته بنفسه وتنمية شعوره بقيمته داخل المجتمع المدرسي. فالتلميذ الذي يرى أن جهده مُقدَّر وأن إبداعه محل اهتمام، يشعر بأنه عنصر فاعل ومهم، وليس مجرد متلقٍ سلبي داخل العملية التعليمية. وهذا الإحساس الإيجابي بالذات يُعد من الركائز الأساسية لبناء شخصية متوازنة ومستقرة.

إن التقدير الذي يناله المتعلم من خلال إنجازه الفني لا يقتصر على الجانب المعنوي فحسب، بل يُساهم أيضًا في إشباع حاجاته النفسية والوجدانية والاجتماعية، وهي حاجات نفسية أساسية لدى الأفراد، خاصة في مرحلة الطفولة والمراهقة. فعندما يُجرّم التلميذ من هذا الاعتراف، قد يلجأ إلى سلوكيات سلبية، مثل العنف أو التمرد، كوسيلة لإثبات ذاته ولفت الانتباه. أما عندما يتحقق هذا الاعتراف في إطار إيجابي من خلال الفن، فإنه يُغني المتعلم عن البحث عن بدائل سلوكية غير سليمة¹.

¹ عبد الله، محمد جبر السيد، مرجع سابق، ص 306

كما أن النجاح في إنجاز عمل فني يمنح التلميذ شعورًا بالقدرة والكفاءة، وهو ما يُعزز دافعيته للتعلم والمشاركة داخل القسم. فالتلميذ الذي يكتشف أنه قادر على الإبداع، يصبح أكثر إقبالًا على الأنشطة المدرسية، وأقل ميلًا إلى السلوكيات العدوانية التي غالبًا ما ترتبط بمشاعر الفشل أو الإحباط. إضافة إلى ذلك، فإن عرض الأعمال الفنية داخل المدرسة أو تنظيم معارض فنية يُسهم في إبراز مواهب التلاميذ، ويمنحهم فرصة للتعبير عن أنفسهم أمام الآخرين بثقة واعتزاز.

ومن جهة أخرى، يُسهم هذا التقدير في بناء علاقات إيجابية بين التلميذ ومحيطه المدرسي، حيث يشعر بأنه محل احترام وتقدير من قبل المعلم وزملائه، مما يعزز لديه روح الانتماء ويُقلل من مشاعر العزلة أو التهميش. فكلما زاد إحساس التلميذ بأنه جزء مقبول ومُعترف به داخل الجماعة، قلّت حاجته إلى استخدام العنف كوسيلة لإثبات ذاته أو فرض وجوده.

وعليه، يمكن القول إن تثمين الإنتاج الفني للتلاميذ يُعد من الوسائل التربوية الفعالة في تعزيز الصحة النفسية لديهم، وبناء تقدير إيجابي للذات، وهو ما ينعكس بشكل مباشر على سلوكهم داخل المؤسسة التعليمية، من خلال تقليل النزعة العدوانية وتعزيز التفاعل الإيجابي مع الآخرين.

رابعًا: غرس القيم الجمالية والأخلاقية و الوجدانية لدى التلاميذ

يساهم الفن، بمختلف تجلياته داخل الوسط المدرسي، في ترسيخ منظومة من القيم الإنسانية والتربوية التي تُعد أساسًا لبناء سلوك سوي ومتوازن، ومن أبرز هذه القيم: الجمال، والنظام، والصبر، واحترام الآخر. فالفن بطبيعته يركز على إدراك الجمال وتقديره، سواء في الألوان أو الأشكال أو التناغم، مما

يُنَمِّي لدى المتعلم حسًا جماليًا يجعله أكثر ميلًا إلى الهدوء والتوازن، وأقل انجذابًا إلى السلوكيات الخشنة أو العدوانية التي تتنافى مع هذا الإحساس.

كما يُعزز الفن قيمة النظام و الانضباط و المواضبة، إذ يتطلب إنجاز العمل الفني نوعًا من التنظيم والدقة في استخدام الأدوات وترتيب العناصر، وهو ما يُكسب المتعلم عادات إيجابية تنعكس على سلوكه العام داخل القسم وخارجه. فالتلميذ الذي يتعلم كيف ينظم عمله الفني، ويحترم خطوات الإنجاز، يصبح أكثر قدرة على احترام القوانين والانضباط في مختلف مواقف حياته المدرسية، مما يحدّ من الفوضى التي قد تكون مدخلًا للسلوك العنيف¹.

ومن جهة أخرى، يُنَمِّي الفن قيمة الصبر، حيث إن إنتاج عمل فني متكامل يتطلب وقتًا وجهدًا وتدرّجًا في الإنجاز. ومن خلال هذه العملية، يتعلم المتعلم كيفية التحمل والمثابرة وعدم الاستسلام أمام الصعوبات، وهي مهارات نفسية تساعد على التحكم في انفعالاته والتقليل من ردود الفعل المتسارعة التي قد تتخذ طابعًا عدوانيًا. فالصبر، في هذا السياق، يتحول إلى أداة لضبط الذات والتفكير الهادئ قبل التصرف.

أما فيما يتعلق بقيمة احترام الآخر، فإن الأنشطة الفنية، خاصة الجماعية منها، تُتيح للمتعلمين فرصة التفاعل مع بعضهم البعض في إطار يسوده التعاون وتبادل الآراء. ومن خلال هذا التفاعل، يتعلم التلميذ تقبّل الاختلاف، وتقدير إبداعات الآخرين، وعدم السخرية أو الإقصاء، وهو ما يعزز لديه روح التسامح والتعايش. كما أن تقدير العمل الفني للآخر يُنَمِّي حس الاعتراف بالجهد المبذول، مما يُرسّخ علاقات إيجابية قائمة على الاحترام المتبادل.

¹خباز البشير. ظاهرة العنف في المؤسسة التربوية الجزائرية. رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، (2016) ص 45

وعليه، فإن هذه القيم التي يُسهم الفن في ترسيخها تتعارض بطبيعتها مع السلوك العنيف، الذي يقوم على الاندفاع والفوضى وغياب التقدير للذات وللآخرين. فكلما ترسخت قيم الجمال والنظام والصبر والاحترام في شخصية المتعلم، كلما أصبح أكثر قدرة على التحكم في سلوكاته، وأقل ميلاً إلى العنف، وأكثر استعداداً للتفاعل الإيجابي داخل محيطه المدرسي والاجتماعي. ومن هذا المنطلق، يُعد الفن وسيلة تربوية فعالة ليس فقط في تنمية الإبداع، بل أيضاً في تهذيب السلوك وبناء منظومة قيمية متماسكة.

خامساً: البحث عن المواهب و اكتشافها و توجيه الطاقات الإيجابية

يساعد الفن، باعتباره مجاًلاً خصباً للتعبير الحر والتجريب، على اكتشاف الطاقات الكامنة لدى التلاميذ، والتي قد تظل غير ظاهرة في ظل الأساليب التعليمية التقليدية القائمة على التلقين. فداخل الفضاء الفني، يُمنح المتعلم فرصة لإبراز قدراته الإبداعية ومواهبه الخاصة، سواء في الرسم أو التمثيل أو الموسيقى أو غيرها من أشكال التعبير، وهو ما يُسهم في الكشف عن جوانب متعددة من شخصيته قد لا تظهر في المواد الدراسية الأخرى. هذا الاكتشاف المبكر للقدرات يُعد خطوة أساسية في توجيه المتعلم نحو مسارات إيجابية تُعزز من نموه الشخصي والاجتماعي.

إن توجيه هذه الطاقات نحو الإبداع يُشكّل بديلاً فعالاً للسلوكيات السلبية أو المنحرفة، حيث يجد التلميذ في النشاط الفني مجاًلاً لإثبات ذاته بطريقة مشروعة ومقبولة اجتماعياً. فبدل أن يسعى إلى لفت الانتباه من خلال العنف أو التمرد، يصبح قادراً على تحقيق التقدير والاعتراف من خلال إنجازاته الفنية، وهو ما يُقلل من احتمالية انخراطه في سلوكيات عدوانية أو منحرفة. كما أن الانشغال بالإبداع يُسهم في استثمار وقت الفراغ بشكل إيجابي، ويُبعد التلميذ عن مصادر التأثير السلبي داخل وخارج المدرسة¹.

¹خباز البشير. ظاهرة العنف في المؤسسة التربوية الجزائرية، مرجع سابق، ص 50

ومن جهة أخرى، يُعزز الفن الشعور بالانتماء داخل المؤسسة التربوية، حيث يشعر المتعلم بأن له مكاناً يُعبّر فيه عن ذاته بحرية، ويُقدّر فيه جهده وإبداعه. وهذا الإحساس بالاحتواء يُعد عاملاً حاسماً في الوقاية من الإقصاء والتهميش، اللذين يُعتبران من أبرز أسباب الانحراف والعنف المدرسي. فالتلميذ الذي يشعر بأنه مُهم ومقبول داخل جماعته، يكون أكثر التزاماً بالقواعد، وأكثر استعداداً للتفاعل الإيجابي مع محيطه.

كما تُسهم الأنشطة الفنية في بناء علاقة إيجابية بين التلميذ والمؤسسة التعليمية، حيث تتحول المدرسة من فضاء جامد يفرض القيود، إلى بيئة حيوية تُشجّع على التعبير والابتكار. وهذا التحول في نظرة المتعلم إلى المدرسة يُعزز من دافعيته للتعلم، ويُقلل من مشاعر النفور أو الرفض التي قد تدفعه إلى السلوك العدواني أو الانسحاب.

وعليه، يمكن القول إن الفن يُعد وسيلة تربوية فعالة لاكتشاف الإمكانيات الكامنة لدى التلاميذ وتوجيهها في الاتجاه الصحيح، بما يُسهم في بناء شخصية متوازنة ومبدعة. كما يُحوّل المؤسسة التربوية إلى فضاء للاحتواء والرعاية، بدل أن تكون بيئة طاردة أو مُقصية، وهو ما يُعد أساساً في بناء مدرسة آمنة تُعزز القيم الإيجابية وتحدّ من مظاهر العنف والانحراف.

المبحث الثالث: أهم الحلول والمقترحات لمحاربة ظاهرة العنف المدرسي

في ظل خطورة العنف المدرسي وتنامي تأثيراته السلبية على الفرد والمجتمع، يصبح من الضروري الانتقال من الطرح النظري إلى اعتماد مجموعة من الحلول العملية التي تُفعّل دور الفن داخل المؤسسة التربوية بشكل منهجي وفعال. فالفن، بما يمتلكه من أبعاد تربوية ونفسية واجتماعية، لا يمكن أن يؤدي دوره المرجو إلا إذا تم إدماجه ضمن رؤية تربوية واضحة، مدعومة بإجراءات تطبيقية تضمن استمراريته ونجاعته في الحد من السلوكيات العدوانية.

ومن أبرز هذه الحلول، إدماج الأنشطة الفنية ضمن البرنامج الدراسي الرسمي، وعدم الاكتفاء باعتبارها مواد ثانوية أو تكميلية، بل منحها مكانة حقيقية توازي أهميتها التربوية. فالتلميذ يحتاج إلى حصص منتظمة يمارس فيها الفن بشكل موجه، تحت إشراف مختصين قادرين على توظيف هذه الأنشطة لتحقيق أهداف سلوكية ونفسية، وليس فقط تعليم تقنيات فنية. كما يتطلب ذلك إعداد مناهج دراسية تراعي الجانب الإبداعي، وتُشجّع على التعبير الحر، بدل الاقتصار على التلقين والتكرار¹.

كما يُعدّ توفير الإمكانيات المادية والبشرية من الشروط الأساسية لإنجاح هذا التوجه، حيث ينبغي تجهيز المؤسسات التعليمية بفضاءات مخصصة لممارسة الفنون، مثل قاعات للرسم والمسرح والموسيقى، وتزويدها بالأدوات اللازمة. إلى جانب ذلك، يجب العمل على تكوين المعلمين وتدريبهم على كيفية استخدام الفن كوسيلة تربوية علاجية، تمكنهم من فهم سلوك التلاميذ والتعامل معه بطريقة تربوية فعالة.

ومن الحلول العملية أيضاً، تنظيم أنشطة فنية موازية، مثل المعارض المدرسية، والعروض المسرحية، والمسابقات الفنية، التي تُشجّع التلاميذ على المشاركة والإبداع، وتُغزز لديهم الشعور بالانتماء والتقدير.

¹بواسطة كمال ، مظاهر العنف المدرسي وتداعياته في المدارس الثانوية الجزائرية . أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، (2017) ص 60

فهذه الأنشطة تخلق جوًا من التفاعل الإيجابي داخل المدرسة، وتُتيح للتلاميذ فرصة إبراز مواهبهم في إطار جماعي يسوده التعاون والاحترام.

إضافة إلى ذلك، يمكن اعتماد مقارنة تشاركية تُشرك مختلف الفاعلين في العملية التربوية، من إدارة ومعلمين وأولياء، في دعم الأنشطة الفنية وتثمينها. فدور الأسرة لا يقل أهمية عن دور المدرسة في تشجيع الطفل على التعبير الفني، كما أن التعاون مع جمعيات ثقافية أو فنانين محليين يمكن أن يُثري التجربة الفنية داخل المؤسسة، ويُقرب التلميذ من الواقع الثقافي لمجتمعه.

ولا يمكن إغفال أهمية توظيف الفن كوسيلة للتوعية بقضية العنف المدرسي، من خلال إنتاج أعمال فنية تعالج هذه الظاهرة بشكل مباشر، كالمسرحيات أو اللوحات أو الأفلام القصيرة، مما يُسهم في نشر الوعي بين التلاميذ وتحفيزهم على تبني سلوكيات إيجابية¹.

أولاً: ضرورة إدماج الفن في المناهج الدراسية

ينبغي تعزيز حضور الأنشطة الفنية ضمن البرامج التعليمية، وعدم النظر إليها باعتبارها مواد ثانوية أو ترفيهية يمكن الاستغناء عنها، بل كمكوّن أساسي ومحوري في تكوين شخصية المتعلم بشكل متكامل. فالتربية الحديثة لم تعد تقتصر على نقل المعارف الأكاديمية فقط، بل أصبحت تهدف إلى بناء إنسان متوازن يجمع بين الجانب المعرفي والوجداني والسلوكي، وهو ما لا يمكن تحقيقه دون إدماج فعال للفنون داخل المنظومة التربوية.

إن اعتبار الأنشطة الفنية جزءًا أصيلاً من المنهاج الدراسي يُسهم في إحداث توازن بين الجوانب العقلية والانفعالية لدى المتعلم، حيث تمنحه هذه الأنشطة فرصة للتعبير عن ذاته، وتنمية حسه الإبداعي، والتفاعل مع محيطه بطريقة إيجابية. فالفن يُغذي الوجدان ويُنمي الذوق، ويُكسب المتعلم مهارات لا

¹بوطورة، كمال ، مرجع سابق، ص 65

تقل أهمية عن المهارات الأكاديمية، مثل التفكير النقدي، وحل المشكلات، والقدرة على الابتكار. كما يُساعد على تنمية الذكاء العاطفي، الذي يُعد عنصرًا أساسيًا في التحكم في السلوك والتفاعل الاجتماعي السليم.

ومن جهة أخرى، فإن تهميش الأنشطة الفنية داخل المدرسة قد يؤدي إلى إقصاء فئة من التلاميذ الذين يمتلكون ميولًا وقدرات إبداعية لا تجد مجالًا للتعبير داخل المواد التقليدية، مما قد يولد لديهم شعورًا بالإحباط أو الفشل. أما عندما يتم الاعتراف بهذه الأنشطة ومنحها المكانة التي تستحقها، فإن ذلك يُسهم في احتواء مختلف أنماط الذكاء والقدرات، ويُعزز مبدأ تكافؤ الفرص داخل المؤسسة التعليمية.

كما أن إدماج الفنون ضمن البرامج التعليمية بشكل منهجي يُسهم في تحسين المناخ المدرسي العام، حيث تُوفّر هذه الأنشطة بيئة تفاعلية قائمة على الحوار والتعاون، بدل التنافس السلبي أو التوتر. وهو ما ينعكس بشكل مباشر على سلوك التلاميذ، من خلال تقليل مظاهر العنف وتعزيز قيم التسامح والاحترام.

ولتحقيق ذلك، لا بد من إعادة النظر في السياسات التربوية التي تُقلّل من شأن الفنون، والعمل على تطوير مناهج تعليمية تُدمج الأنشطة الفنية بشكل منتظم، مع تخصيص حصص زمنية كافية لها، وتوفير التّأطير البيداغوجي المناسب. كما ينبغي تقييم أداء المتعلمين في هذه الأنشطة بشكل يعكس أهميتها، ويُشجّعهم على الإبداع والمشاركة الفعالة.

وعليه، فإن تعزيز مكانة الأنشطة الفنية داخل البرامج التعليمية يُعد خطوة ضرورية نحو بناء منظومة تربوية شاملة، تُعنى بتكوين شخصية المتعلم في أبعادها المختلفة، وتُسهم في إعداد جيل قادر على التفاعل الإيجابي مع ذاته ومع مجتمعه، بعيدًا عن مظاهر العنف والانغلاق

ثانيًا: إنشاء نوادٍ فنية داخل المؤسسات

تُعدّ النوادي الفنية داخل المؤسسة التربوية، مثل نادي الرسم والمسرح والموسيقى، من أهم الفضاءات التربوية التي تُسهم في استثمار وقت الفراغ لدى التلاميذ بشكل إيجابي وهادف، بما يُقلّل من فرص الانحراف والسلوك العنيف. فهي لا تمثل مجرد أنشطة موازية، بل تُعد امتدادًا للعملية التعليمية، تُكمل أدوارها وتُعزّز من نتائجها على المستوى النفسي والاجتماعي¹.

وتكمن أهمية هذه النوادي في كونها توفر بيئة آمنة ومنظمة يُقبل فيها التلميذ على ممارسة أنشطة يحبها، بعيدًا عن الضغوط الدراسية أو القيود الصفية التقليدية. فحين ينخرط المتعلم في نشاط في داخل نادٍ مدرسي، فإنه لا يكتفي بملء وقت فراغه، بل يُوجّه طاقاته نحو الإبداع والإنتاج، وهو ما يُقلّل من احتمالية انجذابه نحو سلوكيات سلبية أو منحرفة. كما أن الانشغال بأعمال فنية يُسهم في الحد من التفكير في العنف أو ممارسته، إذ يُعوّض ذلك بحاجة نفسية إلى التعبير والتقدير.

كما تُسهم النوادي الفنية في تنمية مهارات اجتماعية مهمة، حيث تجمع التلاميذ في إطار جماعي قائم على الاهتمام المشترك، مما يُعزز روح الانتماء والتعاون بينهم. ومن خلال هذا التفاعل، يتعلم التلميذ احترام القواعد، والعمل ضمن فريق، وتقبّل الآخر، وهي كلها قيم تُسهم في الحد من النزاعات والعنف داخل الوسط المدرسي. فالنادي الفني لا يُنمّي فقط المهارات الفنية، بل يُربي أيضًا على السلوك المدني والتفاعل الإيجابي.

ومن جهة أخرى، تمنح هذه النوادي التلاميذ فرصة لاكتشاف ذواتهم وتنمية مواهبهم في جو من الحرية والتشجيع، مما يعزز ثقتهم بأنفسهم ويُشعرهم بقيمتهم داخل المجتمع المدرسي. فالتلميذ الذي يجد

¹ أبو عصب، خالد. العنف المدرسي في التعليم العربي: أسبابه وطرق الوقاية والعلاج. مركز مدار، رام الله، (2010) ص 25

نفسه في مجال فني يُدعى فيه، يصبح أكثر ارتباطاً بالمدرسة، وأقل ميلاً إلى الهروب منها أو التمرد على قوانينها.

كما يمكن للنوادي الفنية أن تُشكّل فضاءً تربوياً وقائياً، يُستثمر في توعية التلاميذ بمخاطر العنف والانحراف، من خلال إنتاج أعمال فنية تحمل رسائل تربوية هادفة، مثل المسرحيات أو اللوحات أو الأغاني. وهذا الأسلوب يُعد أكثر تأثيراً من الأساليب الوعظية المباشرة، لأنه يُخاطب وجدان المتعلم ويجعله شريكاً في بناء الرسالة، وليس مجرد متلقٍ لها.

وعليه، فإن تفعيل النوادي الفنية داخل المؤسسات التعليمية يُعد من أهم الاستراتيجيات التربوية التي تُسهم في توجيه طاقات التلاميذ نحو الإبداع، وخلق بيئة مدرسية إيجابية قائمة على الاحتواء بدل الإقصاء، وهو ما ينعكس بشكل مباشر على تقليص مظاهر العنف والانحراف داخل المدرسة وخارجها¹.

ثالثاً: وجوب تكوين الأساتذة في المجال الفني التربوي

يجب تكوين المعلمين تكويناً متخصصاً ومنهجاً في كيفية توظيف الفن كوسيلة تربوية فعّالة لعلاج السلوكيات السلبية لدى التلاميذ، وعدم الاكتفاء باعتباره مجرد نشاط تقني يُعنى بتعليم المهارات الفنية فقط. فالدور الحقيقي للفن داخل المؤسسة التربوية يتجاوز حدود الإتقان التقني إلى كونه أداة بيداغوجية علاجية وقائية، تستهدف بناء التوازن النفسي والانفعالي للمتعلم، وتوجيه سلوكياته نحو الإيجابية.

إن المعلم، بصفته الفاعل الأساسي في العملية التعليمية، يحتاج إلى امتلاك كفايات متعددة تمكّنه من استثمار الأنشطة الفنية في فهم سلوك التلاميذ والتفاعل معه بطرق تربوية مناسبة. ويشمل ذلك القدرة على قراءة الدلالات النفسية للأعمال الفنية التي يُنجزها المتعلمون، وفهم ما قد تعكسه من مشاعر

¹ أبو عصبه، خالد ، مرجع سابق ، ص 30

مكبوتة أو صراعات داخلية، مثل القلق أو الغضب أو الإحباط. ومن خلال هذا الفهم، يستطيع المعلم التدخل بشكل تربوي داعم، يُساعد التلميذ على التعبير عن ذاته بطريقة سليمة، بدل اللجوء إلى السلوك العدواني.

كما ينبغي أن يشمل التكوين التربوي للمعلمين استراتيجيات عملية لتوظيف الفن داخل القسم، مثل استخدام الرسم للتعبير عن المشاعر، أو توظيف المسرح في تمثيل مواقف حياتية تعالج قضايا العنف والتممر، أو إدماج الموسيقى في خلق جو من الهدوء والتركيز. فهذه الأساليب لا تقتصر على تنمية المهارات الفنية، بل تُسهم في بناء بيئة تعليمية آمنة ومحفزة، تُشجّع على الحوار والتفاهم بدل الصراع. ومن جهة أخرى، يُمكن هذا التكوين المعلم من الانتقال من دور الملقّن إلى دور الموجه والمرافق، حيث يُصبح أكثر وعياً بأهمية الجانب الوجداني في التعلم، وأكثر قدرة على احتواء التلاميذ الذين يعانون من صعوبات سلوكية أو نفسية. كما يُساعد على تبني مقاربات تربوية حديثة قائمة على التحفيز والتشجيع، بدل العقاب والتوبيخ، وهو ما يُقلّل من حدة التوتر داخل القسم ويحدّ من مظاهر العنف. إضافة إلى ذلك، يُعزّز تكوين المعلمين في هذا المجال من قدرتهم على العمل التشاركي مع مستشارين تربويين أو مختصين نفسيين، من أجل تقديم دعم شامل للتلاميذ الذين يحتاجون إلى متابعة خاصة. فالفن يمكن أن يكون مدخلاً للتشخيص والتدخل، إذا ما تم توظيفه بشكل علمي ومدرّس.

وعليه، فإن الاستثمار في تكوين المعلمين في مجال التربية الفنية ذات البعد العلاجي يُعد ضرورة ملحة، لضمان توظيف فعال للفن داخل المدرسة، وتحقيق أهدافه التربوية في الحد من السلوكيات السلبية، وبناء شخصية متوازنة لدى المتعلم، قادرة على التفاعل الإيجابي مع محيطها بعيداً عن العنف والانحراف.

رابعاً: تنظيم معارض وفعاليات فنية

تُسهّم المعارض المدرسية إسهامًا فعّالًا في إبراز أعمال التلاميذ وإخراجها من نطاق القسم إلى فضاء أوسع يُتيح لها أن تُشاهد وتُقدّر، وهو ما يمنح المتعلم شعورًا بالفخر والاعتزاز بما أنجزه. فعندما يرى التلميذ عمله معروضًا أمام زملائه ومعلميه، وربما حتى أوليائه، فإنه يُدرك أن جهده لم يذهب سدى، وأن لإبداعه قيمة حقيقية داخل المجتمع المدرسي. هذا الاعتراف العلني يُعد دافعًا قويًا للاستمرار في الإنتاج الفني وتطوير المهارات، ويُعزز لديه روح المبادرة والاجتهاد.

كما تلعب المعارض المدرسية دورًا مهمًا في تحفيز التلاميذ على الإبداع والابتكار، حيث تُشكّل فضاءً تنافسيًا إيجابيًا يُشجّعهم على تقديم أفضل ما لديهم من أعمال. فمجرد الاستعداد للمشاركة في معرض فني يدفع التلميذ إلى التفكير بعمق، والبحث عن أفكار جديدة، وتحسين جودة إنتاجه، مما يُنمّي لديه مهارات التخطيط والتنفيذ والتقييم الذاتي. كما أن الاطلاع على أعمال الآخرين يُثري تجربته الفنية، ويُحفّزه على التعلم والتطور من خلال تبادل الخبرات والتجارب¹.

ومن جهة أخرى، تُعزز المعارض المدرسية شعور الانتماء لدى التلاميذ تجاه مؤسساتهم التعليمية، حيث يشعرون بأنهم جزء من مجتمع يُقدّر إبداعاتهم ويحتفي بها. فالمعرض لا يُعد مجرد حدث فني، بل هو مناسبة تربوية واجتماعية تُجسّد روح الجماعة والتعاون، وتُسهّم في بناء علاقة إيجابية بين التلميذ ومدرسته. وكلما ازداد هذا الشعور بالانتماء، قلّت مظاهر العزلة أو التهميش، وازدادت رغبة التلميذ في الحفاظ على بيئة مدرسية إيجابية خالية من العنف.

إضافة إلى ذلك، تُسهّم هذه المعارض في خلق مناخ مدرسي مُحفّز وجمالي، حيث تتحول جدران المؤسسة إلى فضاءات نابضة بالحياة، تعكس إبداعات التلاميذ وتُضفي على المكان طابعًا إنسانيًا مميزًا.

¹مقالة مأخوذة من مجلة علم النفس و التربية الصادرة سنة 2024- تحت عنوان الاستراتيجيات التربوية للحد من ظاهرة العنف المدرسي - ص 15

وهذا بدوره يؤثر إيجابياً على الحالة النفسية للمتعلمين، ويقلل من التوتر والضغط، مما ينعكس على سلوكهم بشكل عام.

وعليه، يمكن اعتبار المعارض المدرسية وسيلة تربوية فعّالة لا تقتصر على عرض الأعمال الفنية، بل تتعدى ذلك لتكون أداة لتحفيز الإبداع، وتعزيز الثقة بالنفس، وتقوية الانتماء، والمساهمة في بناء بيئة مدرسية إيجابية تُحدّ من مظاهر العنف وتُشجّع على التفاعل البناء.

خامساً: إشراك الأسرة في العملية التربوية لمحاربة ظاهرة العنف المدرسي

لا يمكن محاربة العنف المدرسي بفعالية دون إشراك الأسرة كشريك أساسي في العملية التربوية، إذ تُعد البيئة الأسرية النواة الأولى التي تتشكل فيها شخصية الطفل وتُغرس فيها القيم والسلوكيات. ومن هذا المنطلق، فإن توعية الأسرة بأهمية الفن في تربية الأبناء تُعد خطوة جوهرية في دعم الجهود المدرسية الرامية إلى الحد من السلوكيات العنيفة وتعزيز البدائل الإيجابية.

فالأسرة الواعية بدور الفن لا تنظر إليه كوسيلة ترفيهية فقط، بل كأداة تربوية تُسهم في تنمية التوازن النفسي والانفعالي لدى الطفل. وعندما تُشجّع الأسرة أبنائها على ممارسة الأنشطة الفنية، سواء داخل المدرسة أو خارجها، فإنها تُوفر لهم فضاءً آمناً للتعبير عن مشاعرهم، وتُساعدهم على تفريغ التوترات بطريقة بناءة، بدل كبتها أو التعبير عنها بسلوك عدواني. كما أن هذا الدعم الأسري يُعزز ثقة الطفل بنفسه، ويُشعره بأن اهتماماته محل تقدير، مما يقلل من حاجته إلى إثبات ذاته بطرق سلبية¹.

كما تلعب الأسرة دوراً مهماً في ترسيخ القيم التي يُعززها الفن، مثل الصبر، والانضباط، واحترام الآخر، من خلال المرافقة والتوجيه المستمرين. فحين يتابع الوالدان أنشطة أبنائهم الفنية، ويُشاركونهم الاهتمام

¹ UNESCO (2010). *Arts Education for Creativity and Cultural Awareness*. Paris, pp. 10

بأعمالهم، فإن ذلك يُقوّي الروابط الأسرية، ويُسهم في بناء تواصل إيجابي قائم على الحوار والدعم، وهو ما ينعكس بشكل مباشر على سلوك الطفل داخل المدرسة.

ومن جهة أخرى، يُمكن للأسرة أن تتعاون مع المؤسسة التربوية من خلال حضور المعارض المدرسية، والمشاركة في الأنشطة الفنية، وتشجيع الأبناء على الانخراط في النوادي المدرسية. هذا التكامل بين البيت والمدرسة يُعزز فعالية البرامج التربوية، ويُوحّد الرسائل التربوية الموجهة للطفل، مما يُسهم في تحقيق نتائج أكثر استدامة في الحد من العنف.

كما أن غياب الوعي الأسري بأهمية الفن قد يؤدي إلى التقليل من شأنه أو منعه أحياناً، بدعوى أنه يُضيّع الوقت أو لا يُفيد دراسياً، وهو ما يحرم الطفل من وسيلة مهمة للتعبير والتوازن النفسي. لذلك، فإن تنظيم حملات توعوية ولقاءات تربوية مع الأولياء يُعد ضرورياً لتصحيح هذه التصورات، وإبراز الدور الحقيقي للفن في بناء شخصية الطفل.

وعليه، فإن محاربة العنف المدرسي تتطلب مقاربة شمولية تتكامل فيها أدوار المدرسة والأسرة، ويُعد تعزيز وعي الأسرة بأهمية الفن أحد المرتكزات الأساسية في هذه المقاربة، لما له من أثر إيجابي في توجيه سلوك الأبناء نحو الإبداع والتفاعل الإيجابي، بعيداً عن العنف والانحراف.

سادساً: توفير الإمكانيات و الوسائل المادية

يتطلب تفعيل الفن المدرسي، بوصفه أحد الركائز الأساسية في بناء شخصية المتعلم وتنمية قدراته الإبداعية والسلوكية، توفير منظومة متكاملة من الوسائل المادية والبشرية والتنظيمية التي تضمن تحقيق أهدافه التربوية والبيداغوجية على نحو فعال ومستدام. فلا يمكن الحديث عن دور حقيقي للفن في

الوسط المدرسي دون تهيئة بيئة تعليمية ملائمة تُشجع على التعبير الفني وتُحفّز على الابتكار وتُسهم في تهذيب السلوك وتنمية الحس الجمالي لدى التلاميذ¹.

وفي هذا الإطار، يُعدّ توفير أدوات الرسم من المتطلبات الأساسية التي لا غنى عنها، إذ تشمل هذه الأدوات مختلف الوسائط الفنية مثل الألوان المائية والزيتية، أقلام التلوين، الفحم، الورق بمختلف أنواعه، والفرش بمقاساتها المتعددة، إضافة إلى المواد المستعملة في الأشغال اليدوية كالعجين والورق المقوى والخشب. وتُتيح هذه الوسائل للتلميذ فرصة استكشاف قدراته الفنية والتعبير عن أفكاره ومشاعره بحرية، مما ينعكس إيجابًا على توازنه النفسي ويُقلل من مظاهر التوتر والعنف داخل الوسط المدرسي.

كما أن تخصيص قاعات ملائمة لممارسة الأنشطة الفنية يُعدّ عنصرًا محوريًا في إنجاح الفن المدرسي، حيث ينبغي أن تتوفر هذه القاعات على شروط مناسبة من حيث الإضاءة الطبيعية والتهوية الجيدة، إضافة إلى تجهيزها بالطاولات المناسبة، أماكن تخزين الأدوات، ولوحات العرض لعرض أعمال التلاميذ. وتُسهم هذه الفضاءات في خلق جو تربوي مريح يُشجع التلميذ على الانخراط في النشاط الفني بكل أريحية، كما تُعزز روح الانتماء للمؤسسة التربوية.

ولا يقتصر الأمر على الوسائل المادية فقط، بل يمتد ليشمل الدعم اللوجستي والتنظيمي، الذي يتجلى في تخصيص ميزانيات كافية لاقتناء المستلزمات الفنية، وتنظيم ورشات ودورات تكوينية لفائدة الأساتذة من أجل تطوير كفاءاتهم في مجال التربية الفنية، إضافة إلى برمجة معارض فنية ومسابقات داخل وخارج المؤسسة لتشجيع التلاميذ على الإبداع وإبراز مواهبهم. كما ينبغي إشراك مختلف الفاعلين التربويين، من إدارة وأولياء وتلاميذ، في دعم هذه الأنشطة لضمان استمراريتها ونجاحاتها.

¹ منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف). (2018) *العنف في الوسط المدرسي*. تقرير دولي، ص 10

وعليه، فإن تفعيل الفن المدرسي لا يمكن أن يتحقق بشكل فعلي إلا من خلال رؤية شمولية تُدمج بين توفير الإمكانيات المادية، وتأهيل الموارد البشرية، وتبني سياسات تربوية داعمة، بما يجعل من الفن وسيلة فعالة في محاربة الظواهر السلبية وعلى رأسها العنف المدرسي، وتعزيز القيم الإنسانية والجمالية داخل المدرسة.

سابعاً: اعتماد مقاربة نفسية تربوية

ينبغي أن يقوم تفعيل الفن المدرسي على مقاربة تكاملية متعددة التخصصات، يكون فيها التنسيق بين المختصين النفسيين والأساتذة ركيزة أساسية لضمان توظيف الفن كأداة علاجية فعالة في التعامل مع الحالات السلوكية الصعبة داخل الوسط المدرسي. فالتلميذ الذي يعاني من اضطرابات سلوكية أو انفعالية لا يمكن التعامل معه بالوسائل التأديبية التقليدية فقط، بل يحتاج إلى تدخل تربوي-نفسي يستند إلى فهم عميق لخلفيات سلوكه، وهو ما يستدعي تضافر جهود مختلف الفاعلين التربويين.

في هذا السياق، يضطلع المختص النفسي بدور محوري يتمثل في تشخيص الحالات السلوكية، وتحليل أسبابها الكامنة سواء كانت نفسية، أسرية أو اجتماعية، ثم اقتراح استراتيجيات علاجية ملائمة تعتمد على توظيف الفن كوسيلة للتعبير والتفريغ الانفعالي. فالفن، بمختلف أشكاله كالرسم، التلوين، النحت أو المسرح، يُعدّ وسيلة غير لفظية تمكّن التلميذ من التعبير عن مشاعره المكبوتة بطريقة آمنة، مما يساعد على تقليل التوتر والعدوانية وتحسين التوازن النفسي.

ومن جهة أخرى، يُسهم الأستاذ، باعتباره الفاعل المباشر داخل القسم، في تنفيذ هذه الاستراتيجيات من خلال إدماج الأنشطة الفنية ضمن الممارسات الصفية اليومية أو ضمن نوادي فنية موجهة. ويتطلب ذلك تكويناً مسبقاً للأساتذة في كيفية التعامل مع الحالات الخاصة، وفهم أساسيات العلاج بالفن، حتى يتمكنوا من توجيه التلاميذ بشكل سليم دون إلحاق أي ضرر نفسي بهم.

ويكتسي التنسيق بين الطرفين طابعاً عملياً من خلال عقد لقاءات دورية لتبادل المعلومات حول تطور حالة التلميذ، وتقييم مدى فعالية الأنشطة الفنية المعتمدة، مع إمكانية تعديل الخطط التربوية وفقاً للنتائج المحققة. كما يمكن إعداد برامج فردية موجهة لكل حالة على حدة، تراعي خصوصيات التلميذ واحتياجاته النفسية والسلوكية.

ولا يقتصر هذا التنسيق على المختص النفسي والأستاذ فقط، بل ينبغي توسيعه ليشمل إدارة المؤسسة وأولياء التلاميذ، بما يضمن تكامل الأدوار وتوحيد الجهود، خاصة أن بعض السلوكيات تكون مرتبطة ببيئة التلميذ خارج المدرسة. إن هذا التعاون الشامل من شأنه أن يُحوّل الفن المدرسي من مجرد نشاط ترفيهي إلى أداة تربوية علاجية فعّالة تُسهم في إعادة دمج التلاميذ ذوي السلوكيات الصعبة، وتحقيق التوازن داخل الوسط المدرسي.

وعليه، فإن التنسيق المنهجي بين المختصين النفسيين والأساتذة يُعدّ ضرورة تربوية ملحة، لا غنى عنها لتفعيل دور الفن في معالجة السلوكيات السلبية، وتعزيز الصحة النفسية للتلاميذ، وبناء بيئة مدرسية آمنة ومتوازنة

في ختام هذه الدراسة الموسومة بـ "الفنون التشكيلية ودورها في الحد من ظاهرة العنف المدرسي"، يتضح أن الفنون التشكيلية ليست مجرد نشاط تربوي ترفيهي أو مادة تعليمية ثانوية، بل تمثل وسيلة تربوية ونفسية فعالة تساهم في بناء شخصية المتعلم المتوازنة والحد من السلوكيات العدوانية داخل الوسط المدرسي. فالفن يمنح التلميذ مساحة للتعبير عن مشاعره وانفعالاته بطريقة سلمية وإبداعية، ويساعده على تفريغ الضغوط النفسية والتوترات الداخلية التي قد تكون سبباً مباشراً في ظهور مظاهر العنف.

كما أظهرت الدراسة أن إدماج الفنون التشكيلية في العملية التعليمية يساهم في تعزيز قيم الحوار والتسامح والتعاون واحترام الآخر، وهي قيم أساسية في مواجهة السلوك العنيف داخل المدرسة. ومن خلال الأنشطة الفنية الجماعية، يكتسب التلاميذ مهارات التواصل والعمل الجماعي والانضباط، مما ينعكس إيجاباً على سلوكهم الاجتماعي والتربوي.

غير أن فعالية الفنون التشكيلية في الحد من العنف المدرسي تبقى مرتبطة بمدى الاهتمام بهذه المادة وتوفير الإمكانيات اللازمة لها، سواء من حيث التأطير البيداغوجي أو الوسائل التعليمية أو تهيئة الفضاءات المناسبة للممارسة الفنية. وعليه، فإن معالجة ظاهرة العنف المدرسي تتطلب مقاربة تربوية شاملة تجعل من الفن أداة أساسية في التنشئة والتوجيه النفسي والاجتماعي.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن الفنون التشكيلية تمثل آلية تربوية فعالة للوقاية من العنف المدرسي، لما لها من دور في تهذيب السلوك، وتنمية الحس الجمالي، وتعزيز التوازن النفسي والاجتماعي لدى التلاميذ، الأمر الذي يستوجب منحها مكانة أكبر داخل المنظومة التربوية.

نتائج الدراسة

1. أثبتت الفنون التشكيلية دوراً مهماً في التقليل من السلوك العدواني لدى التلاميذ .
2. تساعد الأنشطة الفنية على التنفيس الانفعالي والتعبير عن المشاعر بطريقة سلمية .

3. تسهم الفنون التشكيلية في تعزيز التواصل الاجتماعي بين التلاميذ وتقوية روح التعاون .
4. للفن دور فعال في تنمية الثقة بالنفس والشعور بالإنجاز لدى المتعلمين .
5. يؤدي ضعف الاهتمام بالفنون داخل المؤسسات التعليمية إلى تقليل أثرها التربوي .
6. نقص الوسائل والتجهيزات الفنية يحد من فعالية الأنشطة التشكيلية .
7. غياب التكوين المتخصص لبعض المؤطرين يؤثر على جودة استثمار الفن في معالجة العنف المدرسي .
8. توجد علاقة إيجابية بين الممارسة الفنية المنتظمة وتحسن السلوك المدرسي .

التوصيات

1. تعزيز مكانة الفنون التشكيلية داخل المناهج الدراسية وعدم اعتبارها مادة ثانوية .
2. توفير قاعات وورشات مجهزة لممارسة الأنشطة الفنية داخل المدارس .
3. تخصيص ميزانيات لدعم الوسائل والخامات الفنية اللازمة .
4. تنظيم معارض ومسابقات فنية لتحفيز التلاميذ على الإبداع والمشاركة .
5. تكوين المعلمين والمربين في كيفية توظيف الفن كوسيلة تربوية علاجية .
6. إدماج مختصين نفسيين وتربويين للعمل بالتنسيق مع أساتذة الفنون .
7. تشجيع الأنشطة الفنية الجماعية التي تعزز قيم التعاون ونبذ العنف .
8. إشراك الأسرة في دعم المواهب الفنية للتلاميذ ومتابعة سلوكهم .
9. إجراء دراسات ميدانية إضافية حول أثر الفنون في علاج المشكلات السلوكية داخل المدارس .
10. اعتماد برامج تربوية وقائية قائمة على الفن للحد من العنف المدرسي .

قائمة المصادر و المراجع

أولاً: الكتب العربية

1. أبو عصبه، خالد .العنف المدرسي في التعليم العربي: أسبابه وطرق الوقاية والعلاج، مركز مدار، رام الله، 2010 .
2. أبو الرب، محمد خليل .التربية الفنية وطرق تدريسها، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان .
3. إبراهيم عصمت مطاوع .أصول التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000 .
4. أحمد علي الحاج .أصول التربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2010 .
5. أحمد زكريا الشلق .مدخل إلى الفنون التشكيلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2010 .
6. بطرس حافظ بطرس .طرق تدريس الطلبة ذوي الاضطرابات السلوكية والانفعالية، دار المسيرة، عمان، 2005 .
7. تركي رابح .أصول التربية والتعليم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989 .
8. جابر عبد الحميد جابر .سيكولوجية التعلم، دار النهضة العربية، القاهرة، 2001 .
9. حسين محمود عطية .تاريخ الفن عبر العصور، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002 .
10. حسن حسين زيتون .التعلم والتعليم من منظور النظرية البنائية، عالم الكتب، القاهرة، 2003 .
11. حسن زيتون .تصميم التدريس: رؤية منظومية، عالم الكتب، القاهرة، 2001 .
12. حمود مناحي السبيعي .مشكلات تدريس التربية الفنية في المرحلة المتوسطة بدولة الكويت من وجهة نظر الموجهين التربويين والمعلمين، جامعة الشرق الأوسط، 2011 .

13. درويش، عبد الكريم .مدخل إلى التربية الفنية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2010 .
14. سعيد إسماعيل علي .أصول التربية العامة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998 .
15. شاعر عبد الحميد .الفن والإدراك، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001 .
16. صالح أبو جادو .علم النفس التربوي، دار المسيرة، عمان، 2003 .
17. عبد الحميد محمود .أسس التدوق الفني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2008 .
18. عبد الرحمن النقيب .مدخل إلى علوم التربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2012 .
19. عبد الرحيم النحلاوي .أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، 2007 .
20. عبد السلام مصطفى .أسس التربية الفنية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2008 .
21. عبد الفتاح رياض .التكوين في الفنون التشكيلية، دار النهضة العربية، القاهرة، 2000 .
22. عبد الغني محمد إسماعيل العمراني .أصول التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008 .
23. عبد الله عبد الدائم .التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1990 .

24. علي أحمد مذكور .مناهج التربية: أسسها وتطبيقاتها، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005 .
25. علي جريشة .نحو نظرية للتربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995 .
26. قاسم محمد كوفحي، محمد يوسف نصار .نظريات فنية، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2008 .
27. كمال عبد الحميد زيتون .التدريس: نماذجه ومهاراته، عالم الكتب، القاهرة، 2003 .
28. محمد البسيوني .أصول التربية الفنية .
29. محمد الهادي سعد .الفنون التشكيلية وتطورها، دار الثقافة، 2012 .
30. محمد حسن العمارة .أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية، دار المسيرة، عمان، 2004 .
31. محمد عبد الكريم .الفن الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، القاهرة، 2015 .
32. محمد محمود الحيلة .التربية الفنية وأساليب تدريسها، دار المسيرة، عمان، 1998 .
33. نبيل علي .ثقافة الصورة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2003 .
34. فيكتور لونفيلد .طفلك وفنه، ترجمة سامي علي جمال، القاهرة، 1961.

ثانيًا: الرسائل الجامعية (ماجستير ودكتوراه)

35. خباز، البشير .ظاهرة العنف في المؤسسة التربوية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2016 .

36. بوطورة، كمال .مظاهر العنف المدرسي وتداعياته في المدارس الثانوية الجزائرية، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2017 .

37. حمود مناحي السبيعي .مشكلات تدريس التربية الفنية في المرحلة المتوسطة بدولة الكويت من وجهة نظر الموجهين التربويين والمعلمين، رسالة جامعية، جامعة الشرق الأوسط، 2011 .

ثالثًا: المقالات العلمية والدوريات المحكمة

38. الجسار، عدلة ثاني جبر . دور المفاهيم للاتجاهات المعاصرة في التربية الفنية، مجلة الفنون والعلوم الإنسانية، كلية الفنون الجميلة، يونيو 2021 .

39. حمودي، أحمد . التربية الجمالية ودورها في تنمية السلوك الإيجابي لدى المتعلمين، مجلة الدراسات التربوية، العدد 7، 2020 .

40. عبد الله، محمد جبر السيد .العوامل المرتبطة بالعنف عند طلاب التعليم الثانوي الفني وطرق مواجهته، مجلة التربية البدنية وعلوم الرياضة، العدد 4، 2017 .

41. الاستراتيجيات التربوية للحد من ظاهرة العنف المدرسي، مجلة علم النفس والتربية، 2024 .

42. بوزيدي . التربية الفنية وتنمية الجانب النفسي، 2024) .تحتاج بيانات نشر كاملة (

43. بن بادة، طاهر . دور الفن في تحسين التواصل الاجتماعي للأطفال، 2025 .
(تحتاج بيانات نشر كاملة)

رابعاً: التقارير والمنظمات الدولية

44. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة **Arts** (UNESCO). **Education for Creativity and Cultural Awareness**, Paris, 2010.
45. منظمة الأمم المتحدة للطفولة (UNICEF). **العنف في الوسط المدرسي**، تقرير دولي، 2018 .

خامساً: المراجع الأجنبية / المترجمة

46. Lowenfeld, Viktor (فيكتور لوفيلد). **طفلك وفنه**، ترجمة سامي علي جمال، القاهرة، 1961.

الفهرس

إهداء	أ
شكر وتقدير	ج
مقدمة:	أ
الفصل الأول:	1
وظيفة الفن في المدرسة	1
الفصل الأول: وظيفة الفن في المدرسة	1
المبحث الأول: ماهية الفن التشكيلي وأقسامه	1
أولاً: تعريف الفن التشكيلي	1
ثانياً: أقسام الفن التشكيلي	5
ثالثاً: خصائص الفن التشكيلي	8
رابعاً : نشأة الفنون التشكيلية وأهم مراحلها وتطورها عبر العصور	13
المبحث الثاني علاقة الفن بالتربية	17
أولاً: تعريف التربية في الوسط المدرسي	17
ثانياً: أهداف التربية في المدرسة الحديثة	19
ثالثاً: وظيفة الفن في التربية الحديثة	23
المبحث الثالث: وظيفة الفن في التربية	29
أولاً: أهمية معالم مساهمة الفن في تربية الطفل	29
ثانياً: دور الفن في صقل حواس الطفل	34
ثالثاً: التوازن النفسي لدى الطفل	38
الفصل الثاني: طرق ووسائل محاربة العنف المدرسي عن طريق الفن	44

46	المبحث الأول: مفهوم الفن المدرسي وأشكاله
47	أولاً: ماهية الفن المدرسي
49	ثانياً: أنواع الفن المدرسي و مظاهره
57	المبحث الثاني: مساهمة الفنون التشكيلية و دورها في محاربة العنف المدرسي
62	أولاً: التفريغ الانفعالي وتقليل التوتر
63	ثانياً: تنمية مهارات التواصل
65	ثالثاً: تعزيز الثقة بالنفس
66	رابعاً: غرس القيم الجمالية والأخلاقية و الوجدانية لدى التلاميذ
68	خامساً: البحث عن المواهب و اكتشافها و توجيه الطاقات الإيجابية
69	المبحث الثالث: أهم الحلول والمقترحات لمحاربة ظاهرة العنف المدرسي
71	أولاً: ضرورة إدماج الفن في المناهج الدراسية
72	ثانياً: إنشاء نوادٍ فنية داخل المؤسسات
74	ثالثاً: وجوب تكوين الأساتذة في المجال الفني التربوي
75	رابعاً: تنظيم معارض وفعاليات فنية
77	خامساً: إشراك الأسرة في العملية التربوية لمحاربة ظاهرة العنف المدرسي
78	سادساً: توفير الإمكانيات و الوسائل المادية
80	سابعاً: اعتماد مقاربة نفسية تربوية
82	خاتمة
84	قائمة المصادر و المراجع

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور الفنون التشكيلية كوسيلة تربوية للحد من العنف المدرسي، عبر إتاحة الفرصة للتلاميذ للتعبير عن مشاعرهم وتفرغ ضغوطهم بطرق إيجابية. باعتماد المنهج الوصفي التحليلي المدعم بمعطيات ميدانية، خلص البحث إلى أن إدماج الأنشطة الفنية في البيئة المدرسية يسهم بشكل فعال في تقليل السلوك العدواني وتعزيز التفاعل الإيجابي والتحصيل الدراسي.

الكلمات المفتاحية:

الفنون التشكيلية، العنف المدرسي، السلوك العدواني، التربية الفنية، التلاميذ.

Abstract: This study aims to highlight the role of plastic arts as an educational tool to reduce school violence, by providing students with the opportunity to express their feelings and release their pressures in positive ways. Adopting a descriptive-analytical approach supported by field data, the research concludes that integrating art activities into the school environment effectively contributes to reducing aggressive behavior and enhancing positive interaction and academic achievement.

Keywords: Plastic Arts, School Violence, Aggressive Behavior, Art .
Education, Students.

2. الترجمة الفرنسية (French Translation).

Résumé : Cette étude vise à mettre en évidence le rôle des arts plastiques en tant qu'outil pédagogique pour réduire la violence scolaire, en offrant aux élèves l'opportunité d'exprimer leurs sentiments et de libérer leurs pressions de manière positive. En adoptant une approche descriptive-analytique soutenue par des données de terrain, la recherche conclut que l'intégration des activités artistiques dans l'environnement scolaire contribue efficacement à réduire les comportements agressifs et à renforcer l'interaction positive ainsi que la réussite scolaire.

Mots-clés : Arts Plastiques, Violence Scolaire, Comportement Agressif, .
Éducation Artistique, Élèves.